جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ وعلم الآثار

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ

السداسي: الأول **الرصيد: 05**

المعامل: 02 **التقييم: مراقبة مستمرة – إمتحان**

محاضرات
المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)

إعداد : الأســـتاذ **محمد قـــــن**

الموسم الجامعي : 2021-2022م / 1442-1443هـ

المحاور :

1- سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية .

2- أوضاع الدول المغاربية أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م .

3- المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط وظروف إلحاق الدول المغاربية بالدولة العثمانية :

1- الجزائر
2- طرابلس الغرب
3- تونس

4- تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى (السعديون ، العلويون) .

5 - التطور السياسي لتونس في العصر الحديث .

6 - التطور السياسي لليبيا في العصر الحديث .

7 - علاقات الأقطار المغاربية الخارجية .

8- الحياة الإجتماعية والإقتصادية ببلدان المغرب الحديث .

9 - العلاقات الثقافية المغاربية.

عرفت بلاد المغرب العربي في العصر الحديث ، منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي حتى القرن التاسع عشر الميلادي، عدة تطورات في مجالات مختلفة ، كانت انعكاسات لما عرفه الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من تغير في موازين القوى ، حيث برزت الدولة الإيبيرية في شمال الحوض ، بينما في الجنوب تدهورت الكايانات السياسية المغاربية. وفي نفس الوقت برز العثمانيون في المنطقة كقوة تصدت للهجومات الصليبية وضمت المنطقة المغاربية دون المغرب الأقصى للباب العالي . ونتيجة لما سبق ، تطورت الأحداث في المنطقة وتميز كل بلد بخصوصيات سياسية وحضارية رغم وجود مظاهر مشتركة .

أولا: سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية

في الوقت الذي بدأت فيه البرتغال نشاطها الاستعماري أوائل القرن الخامس عشر، كانت إسبانيا لا تزال مقسمة إلى ممالك ، لكن لم تلبث أن أصبحت دولة عظمى قوية في البحر والبر، بعد إنضمام دولة أرغونة البحرية، ودولة قشتالة عام 1469م بزاوج "فرديناند" ملك أرغونة (1467-1516م) من "ايزابيلا" ملكة قشتالة (1474-1504م)[1].

وقد حققت المملكة الاسبانية الفتية عام 1492م نجاحا منقطع النظير، بسقوط غرناطة آخر معقل من معاقل المسلمين في الأندلس في يد الأسبان. وكان مما تقرر في معاهدة "توردیسیلاس - Tordesillas" في7 جويلية 1494م، وفق القرار الذي أصدره البابا "إسكندر السادس"، أن يتولى الإسبان مهمة حرب الإسترداد[2] في المناطق الواقعة شرقي حجر باديس ، بينما المناطق الواقعة غربي هذه المنطقة تكون من نصيب البرتغال . وكان الإسبان قد وضعوا أيديهم على جزر كناريا في وقت مبكر منذ عام1476م، وأصبحوا من مواقعهم في هذه الجزر، يراقبون نشاط الموانئ المغربية في"إفني ،أغادير" وغيرهما.

على أن الإسبان وعملا بوصية ملكتهم "إيزابيلا" لإبنتها "جوانا" وزوجها "فيليب"[3] بأن يواصلا الزحف حتى يدين لهم شمال إفريقيا كله وتنشر المسيحية بين سكانه، تابعوا حملاتهم الاستعمارية على الشمال الإفريقي بقيادة الكادرينال "إكزيمينيس- Ximinis "[4].

---

[1] - هربرت فيشر،أصول التاريخ العربي الحديث، ترجمة زينب راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة 1970، ص74.

[2] - حرب صليبية ضد المسلمين في شمال إفريقيا.

- شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977، ص77.

[3] - مات الأمير فيليب في ريعان شبابه عام 1506م، بعد زواجه من الأميرة الإسبانية بعشر سنوات تقريبا، على أن ابنهما "شارل الأول" صار عام 1516م وارثا لعرش اسبانيا بعد وفاة أبيه فرديناند الخامس، وانتخب في جويلية عام 1519م إمبراطورا للدولة الرومانية ،إضافة إلى حكم أسبانيا والأراضي المنخفضة وتلقب ب "شارل الخامس- Charles Quint".

[4] - شوقي عطاالله الحمل، مرجع سابق ، ص78.

وكان الإسبان قد استولوا على ميناء مدينة "مليلة –Melila" المغربية عام1497م، ومنه أرسلوا البعثات الاستطلاعية ، للكشف عن حالة المناطق المجاورة، ومنها بعثة " لورينثودي باديا " إلى مملكة تلمسان[1].

وكان الإسبان عقب استيلائهم على "غرناطة" عام 1492م ، قد تعهدوا بتأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم واحترام دينهم ، غير أنهم نكثوا هذا العهد ، فاضطر عدد كبير من المسلمين للهجرة إلى بلدان المغرب العربي ، مما أدى إلى بداية صراع بحري بين المسلمين والمسيحيين أطلق عليه الأوروبيون "القرصنة"[2].

كون المهاجرون الأندلسيون ب "تطوان" و"سلا"و"الرباط" أسطولا حربيا قويا ، أخذ يهاجم مراكب البرتغاليين والإسبان في البحر، بل حتى السواحل الإسبانية، مما أثار الرعب في نفوس البحارة المسيحيين. وكانت الدول الاستعمارية وخاصة إسبانيا ، والبرتغال، تطمح إلى بسط نفوذها على مدن وموانئ الشمال الإفريقي، في الجزء الغربي من البحر المتوسط وبالذات في طرابلس الغرب، تونس و الجزائر ، مع مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي)[3] ، مما شجع على تركيز السلطة في المدن والموانئ في أيدي القوات البحرية القادرة على مواجهة الخطر الأجنبي[4] .

وبعد أن أتم الإسبان استعداداتهم لمهاجمة الجزائر، اختار الملك "فرديناند" لقيادة الحملة الاسبانية - التي أبحرت من مالقة في سبتمبر1505م متجهة نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط - القائد " دون ديجو ديفيرا -Don Diégo Devéra" ومعه عشرة آلاف مقاتل ، احتلوا ميناء المرسى الكبير عام 1505م ، ثم اتجهوا إلى مسرغين قرب وهران . وفي عام 1508م أرسل "بدرو دي نافرو- Pedro de Navaro" للإستيلاء على حجر بادس.

ثم تابع الإسبان نشاطهم، وقاد الجنرال" بيدرو نافارو" حملة ضخمة عام 1509م لمهاجمة مدينة وهران، ولم يجد الجيش الغازي مقاومة بسبب خيانة القائمين على حراسة الثغر وبعض القبائل الأخرى مثل بني عامر.

ولم يكتف الإسبان بالاستيلاء على وهران؛ ففي جانفي 1511م تحركوا ودخلوها عنوة ثم استولوا على شرشال وعنابة وغيرهما من المدن الساحلية ، دون أن يحرك سلاطين بني زيان ساكنا[5].

واضطر الجزائريون لتكوين وفد برئاسة الشيخ "سالم التومي الثعالبي" للتوجه إلى بجاية ، لعقد هدنة وصلح مع "بيدرو نافارو" المفوض العسكري الإسباني بالجزائر، كما سافر الوفد إلى إسبانيا حيث قابل الملك "فرديناند الخامس- Ferdinand V " لتقديم فروض الولاء. وكان مما اتفق عليه أن :

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ،1955، د م ، ص182.

[2] - مشتقة من كلمة (Courcse) وتطلق عند الأوروبيين على جميع العمليات البحرية للسفن المغاربية في البحر المتوسط ويعتبرونها أعمال النهب ولصوصية. غير أن المسلمين يرونها جهادا بحريا ضد سفن ورجال واقتصاد الأعداء.

- جلال يحي، المغرب العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الأسكندرية، 1983،ج1، ص81 وما بعدها.

[3] - أنظر: عبد العزيز بن عبد الله ، **البحرية المغربية والقرصنة** ، مجلة تطوان 1958- 1959 ، ع 3-4، ص68 .

[4] - شوقي عطاالله الحمل، نفس المرجع ، ص79.

[5] - شوقي عطاالله الحمل، مرجع سابق، ص ص 80-83.

1- يفرج الجزائريون عن جميع الأسرى الإسبان.

2- تسلم للإسبان إحدى الجزر المرتفعة الواقعة تجاه مدينة الجزائر ويبنون عليها حصن"البنيون Penion"[1] مركزا لقيادتهم البحرية، فيبسطون نفوذهم على الموانئ الهامة في كل المغرب الأوسط.

كما استولى الإسبان على طرابلس عام 1515م[2]، ثم تنازلوا عنها عام 1535م لفرسان القديس يوحنا في مالطة حتى انتزعها منهم العثمانيون عام 1551م.

وفي وسط هذه الظروف اتجه الجزائريون للدولة العثمانية التي كانت قد ثبتت أقدامها في المشرق الإسلامي وتتطلع للمغرب الإسلامي.

ومنذ ذلك الوقت أصبح المغرب العربي مسرحا للتنافس بين إسبانيا والدولة العثمانية ، إضافة إلى أطماع الرؤساء المحليين المتنازعين على السلطة.

وكانت تلمسان مسرحا للتنافس بين هذه القوى المتصارعة ؛ فقد حدث عام 1517م أن تنافس على الحكم إثنان من الأسرة الزيانية هما " أبو حمو" و"أبو زيان أحمد" واستنجد الأول بالإسبان ، بينما استنجد الثاني ب" عروج " الذي كان قد أعلن نفسه عام 1504م أميرا على الجزائر، فأتجه "عروج" بقواته إلى تلمسان فدخلها، وجاءت القوات الإسبانية في ماي 1518م لنجدة "أبو حمو" فحاصرت تلمسان واضطر"عروج" لمغادرتها، لكنه وقع في أيدي الإسبان فقتلوه[3].

ومد البرتغاليون نفوذهم إلى القسم الجنوبي من المغرب الأقصى، فاحتلوا الموانئ التي كانوا يتاجرون معها، وبحكم خروجها عن السلطة المركزية وضعفها ،وقعت في أيديهم ؛ ففي ظرف ست سنوات (1507-1513م) احتلت أهم الموانئ المغربية: آسفي ، ازمور ، البريجة وفونتي أسفل أغادير والتي أسموها "سانت كروز"[4].

ثانيا ـ أوضاع الدول المغاربة أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م

انتهت فترة الإستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي والرقي الثقافي الذي عرفته بلاد المغرب في عهود ما قبل الموحدين؛ فمنذ القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر، انتهت دولة الموحدين وتراجعت في الأندلس وانقسمت منذ1269م إلى ثلاث دويلات إقليمية متنافسة وضعيفة ؛ فقد تواجد الحفصيون في بجاية وتونس (1207-1574م) والزيانيون (بني عبد الواد) بتلمسان (1236-1544م) والمرينيون وحلفاؤهم من بني وطاس (1258-1544م) بالمغرب الأقصى ، وزاد في

---

[1] ـ كانت تجاه مدينة الجزائر أمام المرسى، أربع جزر صخرية منها الجزيرة الصخرية الكبرى التي بنى عليها الحصن الإسباني . وقد هدم على يد خير الدين عام 1530م . وبعد تحطيم الثكنة الإسبانية ردم مابين هذه الجزر التي اتصلت بالمدينة برصيف طوله 220 مترا و عرضه 25 مترا ، ولعل هذا هو السبب في إطلاق إسم "الجزائر" عليها.

- انظر:

- محمد بن أبي شنب (ناشر)، الذخيرة السنية ، الجزائر ، 1920.

[2] ـ شوقي عطاالله الحمل، مرجع سابق، ص84.

[3] ـ نفسه ، ص85.

[4] ـ عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الأيبيري الى التحرر، ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،1999، ص25.

ضعفها توقف التبادل التجاري الداخلي وتحول مراكز التجارة الدولية،وركود الحياة العلمية وشيوع ظاهرة التقليد، وقد أصبحت السلطات الحاكمة المحلية عاجزة عن فرض سلطتها .

ولم تنجح دويلات المغرب في التصدي إلى الهجمات الابيرية بسبب الفتن الداخلية وضعف الإنتاج الزراعي وظهور الأوبئة وتنافس السكان وزيادة نفوذ القبائل وشيوخ الزوايا ، فاستقلت كثير من الأسر المحلية وظهرت حكومات محلية بعديد المدن ، مستقلة عن السلطة المركزية في كل دويلة ، منها بنوعمار في طرابلس الغرب ، بنو زكريا في جزيرة جربة بتونس والثعالبة في الجزائر.

كما تكونت في القرن الخامس عشر مشيخات قبلية في الجبال والصحراء بالجزائر منها مشيخات سويت نواحي الشلف وبني عامر في وهران وبني القاضي بمنطقة كوكو بجرجرة وآل مقران ببرج بوعريريج وبني جلاب في تقرت .

كما انحصرت سلطة بني مرين وبني وطاس في إقليم فاس بمراكش وسهول المحيط الأطلسي ، على عكس السعديين الذين تمركزوا في إقليم سوس في الجنوب ، وانحصرت سلطة الحفصيين بتونس وقسنطينة وبجاية وعنابة وسواحل تونس ولم يتجاوز حكمهم منطقة تلمسان وتنس وقلعة بني راشد.

وقد نتج عن تراجع السلطة المركزية تفكك البنى السياسية القائمة على العصبية القبلية، حيث استقلت عن تونس كل من طرابلس الغرب وقسنطينة وبجاية، واستقلت عن تلمسان وهران وجزائر بني مزغنة، واستقلت عن فاس مراكش ومناطق الجنوب. وقد أثر هذا التمزق السياسي على التجارة الصحراوية عصب الاقتصاد، وتدهورت التجارة والزراعة بسبب اللاأمن، وعم الجمود الفكري ، مما أدى إلى ظهور حركات استقلالية عن السلطة المركزية[1] .

وعليه نخلص أن وضع بلاد المغرب خلال القرن السادس عشر كان متدهورا في جميع المجالات الحيوية ، والمقابل كانت القوى المسيحية وخاصة الإيبيرية تشهد عصر النهضة والتطور، وشن حملات عسكرية على سواحل بلاد المغرب[2]. ولولا ظهور قوى الطرق الصوفية والأشراف في المغرب والعثمانيين في الجزائر وتونس وليبيا ، لوقعت بلاد المغرب تحت الهيمنة الإيبيرية .

ثالثا : المد العثماني في الحوض الغربي في البحر الأبيض المتوسط

1- الجزائر

1-1: ظروف الإرتباط

منذ أواخر القرن الخامس عشر، عرف عالم البحر الأبيض المتوسط مرحلة مهمة جدا تجلت في بدء التفوق الأوربي في مجال التقنيات الحربية والبحرية، مما ساهم في تغيير ميزان

[1] -عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص 23.

[2]- F Braudel , « **Les Espagnols et 1'Afrique du Nord de 1492-1577** »,Revue Africaine, 1928,p198.

القوى بين الضفتين دار الإسلام ودار الحرب[1]. وكان من نتائج هذا التفوق احتلال الإسبان والبرتغاليين للسواحل الأطلسية والمتوسطية في الشمال الإفريقى .

وإذا كان المغرب قد تصدي للحملة الإيبيرية على شواطئه بفضل جهود الدولة السعدية الناشئة، فان بلدان شمال إفريقيا الأخرى استنجدت بقوة خارجية عن البلاد وهي القوة العثمانية /

وبعدما تعرض المغرب العربي مع بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى اعتداءات صليبية استعمارية ، بزعامة إسبانيا، ظهر رجال الجهاد البحري الأتراك في الضفة الغربية من المتوسط ، و استجابوا لنجدة السكان المسلمين المهددين و نقلوا مهاجري الأندلس المسلمين إلى بلاد المغرب العربي ، وتصدوا لغارات القراصنة الأوروبيين .

وقد اشتهر من بين مجاهدي هذه الحركة البحاران التركيان عروج وشقيقه خير الدين بربروس ، اللذان ذاع صيتهما في البحر الأبيض المتوسط كقوة مضادة للقرصنة الأوروبية. وقد جاءا أولا إلى جزيرة جربة التونسية ثم استنجد بهما أهل زواوة بالجزائر، وسارعت سفن المجاهدين بقيادة عروج وخير الدين إلى بجاية لمؤازرة سكانها، قصد تخليصها من العدو الاسباني عام 1510م، بيد أن محاولاتهم الثلاث لإنقاذها باءت بالفشل [2] .ثم قدما إلى جيجل وبادرا إلى تحرير بجاية من الإسبان ، فتمكنا عام 1514م من النزول في جيجل بعد طرد الجنويين منها واتخذها المجاهدون مركزا لأسطولهم البحري.

ولما واجهت مدينة الجزائر التهديدات الاسبانية[3]، وقصد دفع الخطر المحدق بها وتخليصهم من المسيحيين[4] ، سارع أعيانها ، وفي مقدمتهم أبو العباس أحمد بن القاضي حاكم الزواوة ، إلى الإستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين ، فقد خاطب أبو العباس القائد عروج مستعطفا إياه لإنقاض بلاده من الاسبان قائلا: "إن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب"[5].

استجاب عروج لطلب أعيان مدينة الجزائر عام 1516م ؛ فشن هجوما على حصن البينون دون أن يتمكن منه. وأمام خطورة التهديد الاسباني، رأى عروج أن يوطد سلطة قوية بمدينة الجزائر ، فعمل على التخلص من سالم التومي واستمالة أعيان المدينة، ثم بادر إلى تحصين ميناء المدينة وفرض سلطته على المناطق المجاورة [6].

وقد استغل عروج انتصاره على الاسبان المهاجمين لمدينة الجزائر، بمواجهة الحكام الموالين للاسبان ومنهم سلطان تنس وملك تلمسان ، فتغلب على قوات سلطان تنس حميدة العيد

---

[1]- عبد الرحيم بنحادة ،المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن عشر ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، ظهر المهراس فاس ، موسم 1995/ 1996 ،ص3 .

[2]- يحي بوعزيز،علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1980،ص35.

[3]- تعرضت سواحل الجزائر إلى حملات أوروبية مختلفة مطلع القرن السادس عشر منها حملات بيدرو نافارو على مدن المرسى الكبير1505، ومسرغين1507، ووهران 1509، وبجاية 1510، وعنابة 1510، وحملة دييغو دوفيرا على الجزائر1516. يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص17.

[4] - شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص26.

[5]- عمار بن خروف ، مرجع سابق، ص20.

[6]- عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ، ص ص20-23.

في المعركة التي وقعت قرب نهر الشلف في صيف 1517م، ثم زحف نحو تلمسان بطلب من أعيانها لتخليصهم من أبي حمو الثالث الزياني ، فهزمه في سبتمبر 1517م، وقد فر أبو حمو إلى اسبانيا للاستنجاد بملكها شارل الأول ، وجاء الرد الإسباني سريعا، حيث قطعوا الطريق على عروج بقضائهم على حامية قلعة بني سناسن وقضوا عليه في ماي 1518م[1] عن سن يناهز 45 سنة، إثر معركة دارت بينه وبين الإسبان خارج تلمسان وبالتحديد بواد المالح نواحي عين تموشنت ، بمساعدة قبيلة بني عامر وأعادوا "أبو حمو" إلى تلمسان مقابل أن يدفع لهم ضريبة باهظة.

2-1: ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية

خلف خير الدين أخاه عروج في حكم مدينة الجزائر ووجد مصاعب من الحكام والأعيان المحليين فقد تمرد عليه حاكم تلمسان بتحريض من "أبو حمو الثالث" وخرج عن سلطته كل من والي تنس ، شرشال ،وتعرضت مدينة الجزائر إلى حملة اسبانية بقيادة"هيج ودي مونكاد" صيفا عام 1518م فتصدى لها خير الدين.

أقنع خير الدين غالبية الجزائريين بأهمية انضمام بلادهم إلى السلطة العثمانية ، فتوجه وفد بقيادة "حاجي حسين" يحمل رسالة إلى السلطان سليم الأول (1512-1520م) يعبر عن رغبة سكان مدينة الجزائر للدخول تحت طاعته وحمايته [2] والإعتراف بسلطته[3]، وكان خير الدين يهدف من وراء ذلك إلى تدعيم قوته العسكرية ، خاصة بعد استشهاد أخيه عروج عام 1518م ، كما هدف أيضا إلى اكتساب حكمه للجزائر الصفة الشرعية بكونه ممثلا للسلطان ، بعدما لمس كثرة المتآمرين عليه من الحفصيين وبعض الأمراء الزيانيين بتحريض من الإسبان.

وبعد إرسال وفد جزائري إلى الأستانة، محملا بالهدايا والبيعة للسلطان سليم الأول هذه البيعة التي لم يتردد السلطان العثماني في قبولها لأنها فتحت الطريق لهم بسهولة للوصول إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[4] .

ومقابل البيعة المذكورة ، عين خير الدين بعد مقتل أخيه عروج حاكما على جزائر الغرب، ومن ثم أصبحت شرعية الحاكم في الجزائر مرتبطة بالباب العالي[5].

ويجب أن نسجل هنا أن إحساس الجزائريين باستمرار الخطر الاسباني وعجز الحكام المحليين عن دفعه ، إضافة إلى التشابه العقائدي بينهم وبين الأتراك العثمانيين ، كان له أكبر الأثر في تقبل الجزائريين فكرة الانضمام إلى الدولة العثمانية التي دخلت حيز التطبيق عام1518م[6].

---

[1] - عبد الحميد حاجيات ، خطر النصارى وانهيار الدولة الزيانية ، الجزائرفي التاريخ، العهد الإسلامي ، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984، ص456.

[2] - عبد الجليل التميمي ، " **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول 1519**"، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 2، 1976، تونس، مطبعة الإتحاد العام للشغل، ص ص 119-120.

[3]- شوفالييه كورين، مصدر سابق ، ص38.

[4] - نفسه ، ص ص35-39.

[5]- عبد الرحيم بنحادة ، مرجع سابق ، ص ص41-42.

[6]- جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830 ،ط 2، دار هومة،الجزائر، 2007،ص ص50-51.

تولى خير الدين بربروس إتمام توحيد الجزائر واتخذ مدينة الجزائر عاصمة للإيالة ووضعها تحت سيادة الدولة العثمانية ، التي عينته حاكما على الجزائر عام 1518م[1] ومنحه السلطان لقب بايلرباي[2] وقائد الأجواق ونائب السلطان[3]. وأرسل له السلطان سليم الأول ألفين جندي إنكشاري مسلحين بالبنادق وعددا من القطع البحرية[4]، وعددا من المتطوعين.

ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة الجزائر مركزا منيعا ، تحطمت أمامه كل الحملات الاسبانية وغيرها ، حتى أطلق عليها المدينة التي لا تقهر، المدينة المحروسة[5]، دار الجهاد، دار السلطان ومدينة الألف مدفع أو ملحمة العاصمة المقاومة[6] . وتطورفيها الحكم عبرفترات متباينة [7].

استطاع خير الدين إفشال حملة الاسبان عام 1519م على مدينة الجزائر وإعانة الأمير الزياني على انتزاع الملك من أخيه عبد الله الموالي للاسبان، ثم التفت إلى الشرق، حيث كان الأمير الحفصي يحضر للهجوم على منطقة الزواوة بمساعدة أحمد بن القاضي، فانتقل خير الدين إلى جيجل وشرع يوطد سلطته على مناطق الزواوة ، قسنطينة وعنابة.

عاد خير الدين إلى مدينة الجزائر فطرد الاسبان من حصن البينون شهر ماي 1529م، وسيطر على القل و قسنطينة عام 1521م القالة وعنابة عام 1522م،الحضنة والقبائل و متيجة عام 1525م ، واسترجع مدينة الجزائر من يد سلطان قبائل كوكو بن القاضي عام 1526م .

وفي عام 1534م دخل خير الدين تونس ، التي سرعان ما استرجعها "شارل الخامس" ،عام 1535م ورد خير الدين على هذه الهزيمة بحملة على ميناء ماهون الاسباني[8].

ونتيجة لانجازاته ، استدعى السلطان سليمان الأول (القانوني) خير الدين عام 1535م إلى اسطنبول وعينه قائدا عاما للأسطول البحري التركي،ووضع تحت تصرفه البوارج الحربية، المعدات العسكرية. و بقي في هذا المنصب حتى وافته المنية عام 1546م عن سن ناهز 80 سنة .

وفي الوقت الذي تغيب فيه خير الدين عن أرض الجزائر و انشغاله بتنظيم البحرية التركية قام عين ابنه حسن باشا قائدا للجزائر .

وفي عام 1541م شن "شارل الخامس" حملة قوية على مدينة الجزائر، ولكنها فشلت[1]. وهكذا عمل خير الدين على تحصين البلاد والصمود في وجه الحملات المسيحية والتخلص من أعوان الإسبان[2].

---

[1]- انظر :

- عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق ،ص ص 20-26.

[2] - شوفالييه كورين، مصدر سابق ، ص43.

[3] - وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ترجمة عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1980، ص36.

[4]- عبد الجليل التميمي ،**"أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519"**، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد6 ، جانفي1976 ، ص ص 119- 120.

[5]- كورين شوفالييه ، مصدر سابق ،ص ص121- 122 .

[6]- انظر كتاب "الجزائر.. مدينة الألف مدفع" للمؤرخ الدكتور مولاي بلحميسي، وفيه تفاصيل ملحمة عاصمة قاومت لمدة فاقت ثلاثة قرون (1516-1830) مختلف محاولات الغزو الأوروبي، بفضل القلاع و الخنادق المحيطة بها.

[7] - للمزيد طالع :

- ناصر الدين سعيدوني ، الجزائرفي التاريخ، العهد العثماني ، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984.

[8] - عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، دار الأمل، الجزائر، 2006، ج1، ص ص27-29.

وقد كانت الجزائر قاعدة للجهاد الإسلامي في المتوسط ؛ فمنها انطلق العثمانيون محررين تونس ومحاولين ضم المغرب لنفوذهم .

2- طرابلس الغرب

كانت طرابلس الغرب وبرقة تشكلان ما يعرف بليبيا التي تميزت بموقعهما الإستراتيجي منذ فتحها على يد عمرو بن العاص[3] ، احتلها الكونت "بدرو نافارو- Pedro Navaro" في جويلية عام 1510م [4] ، وأصبحت مركزا لمراقبة النشاط العثماني في المنطقة.

وبسبب انشغاله بحروب أوروبا ، تنازل شارل الخامس عن طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطة[5] عام 1530م.

تخوف سكان طرابلس من تزايد الهجمات الإسبانية وممارسة فرسان القديس يوحنا فأرسلوا وفدا لإسطنبول عام 1536م ، طلبا للمساعدة. وعليه أرسل السلطان سليمان القانوني "مراد آغا" على رأس وحدة عسكرية، فذهب نحو ليبيا واستقر في "تاجوراء" ثم توسع في مدينتي "مسلاطة" و"نرهونة" عام1543م ومدينتي "غريان" و"بني الوليد" عام 1544م[6]، حتى عين السلطان الرايس "درغوث باشا" قائدا للبحرية لمواجهة التحالفات الأوروبية ، وقيل أن سكان طرابلس ترجوا درغوث باشا وهو مار إلى تونس ، باستعادة بلدتهم من النصارى، وهكذا اتخذ السلطان العثماني قرارا بتجهيز أسطول قوي للتوجه إلى طرابلس قصد فتحها[7]. وأمر السلطان القبطان سنان باشا بتجهيز أسطول ضخم مكون من 112سفينة و52مركب صغير وكبير واصطحب معه 8000إنكشاري و400 محارب وصانع، و 600فارس بخيولهم وكميات من الدخيرة[8] .

نزلت قوات سنان باشا بطرابلس عام 1551م وحاصرت المدينة من جهات مختلفة ووجه رسالة إلى حاكم طرابلس وقائد الفرسان الماريشال "جاسباري دي فاليرا" طلبا للإستسلام[9]، وفعلا

---

[1]- Grammont H D , Alger sous la Domination Turque 1515- 1830, Bouchene, paris, 2000, p 68.

[2] - عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص ص28-29.

[3]- شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ليبيا طرابلس، ج1، دون مكان وتاريخ الطباعة ، ص46.

[4] - اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترحمة محمد خليفة التليسي، ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1991، ص 140.

[5]- ينتمون لفرسان القديس يوحنا استقروا في جزيرة رودس بعد طردهم من عكا ، وبسبب مهاجمتهم للسفن العثمانية ، طردهم السلطان سليمان القانوني ، فاستقروا في طرابلس الغرب بعدما أهداهم إياها الملك شارل الخامس.أنظر :

- محمود علي عامر - محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى - ليبيا، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999-2000، ها ص153.

[6] - محمود علي عامر - محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص 160.

[7] انظر بالتفصيل:

- ابن غلبون أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من الأخبار، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930، ص68.

- ايتوري روسي، مرجع سابق ، ص ص206-213.

- محمود علي عامر ومحمد فارس ، مرجع سابق ، ص- ص160-162.

- عزيز سامح التير، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، الحاج عبد السلام أدهم، بيروت، 1969،ج2، ص51.

[8] - حسن صافي ، طرابلس الغرب تاريخي ، استانبول ، 1328، ص ص 40-41.

[9] - عزيز ألتر سامح ، نفس المرجع .

اضطرت قوات الفرسان في الأخير للإنسحاب منذ 9أوت1551م ، والتفاوض مع سنان باشا على شروط الإستسلام. وفتحت أبواب المدينة للعثمانيين يوم 14أوت1551م [1]، وأصبحت طرابلس بذلك ولاية عثمانية،وبذلك حصل العثمانيون على قاعدة عسكرية وبحرية مهمة للأسطول العثماني منذ 16أوت 1551م [2]، تربط المشرق العربي عبر مصربلاد المغرب العربي وتمهد لفتح تونس ، وقد عين عليها "مراد اغا" حاكما باسم السلطان العثماني .

3- تونس

3-1 : الدخول العثماني إلى تونس

كانت تونس تخضع إلى الحكم الحفصي منذ1237م ، ومنذ مطلع القرن14م بدأت تضعف بحكامها وتآمرهم مع الاسبان الذين تصارعوا مع العثمانيين على تونس؛ فقد أساء السلطان الحفصي"الحسن بن محمد 1526- 1546م" تسيير البلاد [3] وثارت ضده الطريقة الشابية في مدينة القيروان عام 1540م بقيادة الشيخ عرفة [4] ، فمال السكان إلى أخيه " الرشيد" الذي طلب العون من من خير الدين، الذي كان يرغب في توحيد بلاد المغرب العربي [5] .

وكانت تونس تحظى بأهمية بالغة بموقعها الاستراتيجي في عرض المتوسط فهي تتحكم في طرق مواصلاته وتحمي ظهر الجزائر، وتمثل في المتوسط محل نزاع مرير، منذ أن احتل " أندري دوريا " موانئ تونس وبنزرت والمنستير، كما أن إطلاع خير الدين على مؤامرات الأمير الحفصي ، شجعه على مبادرة إلحاق تونس بالدولة العثمانية .

وعليه جهز خير الدين حملة نحو مدينة تونس ففتحها سنة 1534م[6] وعين الرشيد أخ الحسن بن محمد على تونس [7] . لكن هذا الفتح فشل بسبب تدخل الاسبان الذين اتصل بهم السلطان الحسن بن محمد محمد فجهز شارل الخامس سنة 1536م حملة صليبية أوروبية من ثلاثين ألف مقاتل ، أبحرت من برشلونة يوم31ماي 1535م ، ووصلت تونس في 16 جوان 1535م [8]، فاسترجع من خلالها السلطان السلطان الحفصي الحسن بن محمد سلطته (1526- 1569م) [9]، وأمضى بينه وبين شارل الحامس معاهدة حلق الوادي، في 8أوت1535م، اشترطت على حاكم تونس أن يطلق سراح الأسرى الإسبان

---

[1] - شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح الليبي حتى الغزو الإيطالي ، ج1، ترجمة عبد الكريم الوافي، طرابلس، ليبيا، 1973، ص ص114-115.

- ابن غلبون ابي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، نفس المصدر .

- اتوري روسي، مرجع سابق ، ص ص206- 213 .

[2] - محمود ناجي ، طرابلس الغرب ، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمود الأسطى، بنغازي ، 1970، ص149.

[3] - بسام العسلي ، خبرالدين بربروس، ط1، دار النفائس، 1980، ص128.

[4] - محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر، 1985، ص24.

[5] - نبيل عبد الحي رضوان ، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث ، ط1، مكتبة الطالب الجامعي ، 1980، ص ص311، 315.

[6] - أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ط2 ، الجزائر، 1984، ص230.

[7] - محمد عبد اللطيف البحراوي ، فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر ، ط1، دار التراث، القاهرة ، 1979، ص128.

[8] - اسماعيل سر هنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، ط1، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة، 1894،ص 420.

[9] - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ط2 ، مكتبة المنار، تونس، 1972، ص462.

ويسلم المهدية ، بنزرت وميناء حلق الوادي، ويقدم لهم 12ألف دوقة اسبانية ويسمح للمسيحيين ممارسة شعائرهم الدينية [1] .

سخط الأهالي على تطبيق المعاهدة ، في حين انسحب خير الدين بقواته إلى الجزائر وشن منها هجوما على الشواطئ الإسبانية ونغص فرحة " شارل الحامس " بانتصاره في تونس[2] .في وقت تحالفت فيه الدولة العثمانية مع فرنسا عام 1536م.

وبعد استدعاء خير الدين إلى اسطانبول وتعيينه قائدا للبحرية ركز نشاطه في شرق المتوسط ، في حين واصل خلفاؤه على الجزائر مواجهة القوى المسيحية في غرب المتوسط، فقد ردوا حملة " شارلكان " على الجزائر عام 1541م، كما استأنف العثمانيون في الجزائر فتح تونس ؛ فمن طرابلس شرع درغوث باشا - خليفة خير الدين - في شن حملات استرجعت قفصة عام 1556م وامتدت إلى القيروان عام 1557م ، ثم حملة نحو جربة لتخليصها من الاحتلال الاسباني عام 1560م، وحققت انتصارا باهرا على قوات " اندري دوريا "[3]،ثم توفي وهو يحاصر جزيرة مالطة لانتزاعها من فرسان القديس يوحنا [4].

وإذا كان الاسبان وبمعونة الأمير الحفصي أحمد بن الحسن الحفصي الحفصي(1535-1572م)، ظلوا يسيطرون على شمال البلاد، فإن حكام الجزائر واصلوا ضم تونس إلى نفوذهم، حيث شن علج على حملته على تونس وانتصر على السلطان أحمد بن الحسن الحفصي في ديسمبر 1569م، وأرسل في طلب الأسطول العثماني للقضاء على الحصن الاسباني بحلق الوادي[5]، ثم قاد العثمانيون حملة نحو تونس بقيادة (علج علي وسنان باشا) قضت على الوجود الاسباني في تونس سنة 1574م.

ونظرا للتهديد العثماني، تحالف المسيحيون في حلف مقدس لمواجهة العثمانيين بحريا[6] ، بقيادة " " دون جوان " للقضاء على الاسطول العثماني، فكانت واقعة " ليبانت" الشهيرة في07-10-1571م قرب مالطة التي انهزم فيها العثمانيون .

لكن علج علي تمكن من انقاذ جزء من الأسطول العثماني وإعادة بنائه ، بعد أن أوكل له السلطان سليم الثاني مسؤولية قيادته إلى جانب توليه حكم الجزائر. وفي عام 1573م دخل" دون خوان النمساوي" على رأس حملة صليبية إلى تونس وطرد الحامية الجزائرية، واقترح على محمد بن الحسن أخ أحمد تولي السلطة [7] .

ونجحا قائدا الأسطول العثماني علج علي وسنان باشا في 24أوت1574م في استرداد حلق الوادي[8] ثم تونس في 13سبتمبر1574م[9] ،وأسر محمد الحفصي واعتقل باسطنبول حيث توفي[1] .

---

[1] - محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1 ، دار النفائس، بيروت، 1981 ،ص ص232- 233.

[2] -انظر جلال يحي ، مرجع سابق، ص126.

[3] - جلال يحي ، مرجع سابق، ص 155.

[4] - محمد العربي الزبيري ، مرجع سابق ، ص ص 28-31.

[5] - انظر صلاح العقاد ، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص24.

[6] - محمد العربي الزبيري ، مرجع سابق ، ص 30

[7] - أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 457.

[8] - محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، ط2، دار الشروق، 1979، الجزائر، ص 51.

[9] - أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 401.

وبهذا تمكن العثمانيون من القضاء على الوجود الاسباني في جميع البلاد التونسية وعلى الدولة الحفصية وإخضاع تونس للسيادة العثمانية[2].

هكذا كان الدخول العثماني لبلاد المغرب العربي، أمرا فرضته التهديدات المسيحية الاسبانية أوائل القرن السادس عشر الميلادي، حيث جذب هذا الصراع الصليبي رجال الجهاد البحري الذين أسسوا أساطيل بحرية ثم اندمجوا مع الأندلسيين وسكان المغرب في مقاومة الغزو المسيحي.

رابعا : تطور نظام الحكم في المغرب

عرف المغرب الأقصى تطورا جذريا وتحولات عميقة مع مطلع القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، ومن مظاهرها التفكك السياسي للدولة المرينية والدولة الوطاسية ، مقابل ظهور قوة سياسية دينية تمثلت في السعديين والعلويين .

1: ظهور و انهيار الدولة الوطاسية (1471-1554م)

في خضم حملات الغزو الايبيري والتفكك الداخلي لدولة المرينيين، برز الوساطيون[3] على المسرح السياسي، وعجزوا عن رد الخطر الصليبي ، خاصة في عهد عبد الحق، محمد الشيخ ،محمد البرتغالي وأبو العباس أحمد، في وقت تأزمت فيه الأوضاع الداخلية وظهور الأشراف السعديين في الجنوب الذين سيطروا على مراكش عام 1525م، وزاحموا أحمد الوطاسي ودخلوا فاس عام 1549م ، رغم محاولة " أبو حسون" الوطاسي الإستعانة ب " شارلكان"، وحكام الجزائر العثمانيين لإستعادة فاس،وبذلك انهارت دولة بني وطاس لصالح السعديين[4].

عرفت الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي و بداية القرن العاشر هجري- القرن السادس عشر ميلادي (895-910هـ/1492-1050م) تفكك وانقسام المغرب الأقصى إلى وحدات سياسية مستقلة [5]، بسبب الضعف الذي آل إليه الحكم الوطاسي بالمنطقة و انحصار قوته بمدينة فاس[6].

---

[1]- محمد العروسي ، السلطنة الحفصية (تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986، ص ص 731- 732.

- زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان، 1985، ص454.

[2]-عمار بن خروف ، مرجع سابق، ص- ص 107-109.

[3] - بنو وطاس : قبيلة زناتية مغربية استقرت وسط وجنوب المغرب ، أبناء عمومة المرينيين فتحالفوا معهم ضد الموحدين. ولما توفي السلطان المريني أبو سعيد عثمان،استحوذ أبو زكرياء يحي الوطاسي على السلطة (1428-1458م).

حول دولة بني وطاس. انظر:

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الإستقصا، ج4، ص98 وما بعدها.

[4] - محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص ص23-28.

[5]- تمثلت الوحدات السياسية المستقلة بالمغرب في إمارة شفشاون و دبدو في الشمال و الشرق الغربيين و إمارة إبن حدو في وسط و غرب المغرب ، و إمارت ابن شنتوف في غرب و جنوب المغرب وغيرها .

[6]- تعد قاعدة المغرب ، وهي عبارة عن مدينتان متفرقتان بينهما نهر كبير يعرف بوادي فاس، تحيط بهما قناطر كثيرة، وهي أرض خصبة، ولها أقطار واسعة متصلة العمائر.أنظر:

- مجهول، الإستبصار في عجائب الأمطار، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، 1966، ص180-181.

شجع هذا التفكك التدخل الأجنبي بالمنطقة خاصة البرتغالي والاسباني في احتلال السواحل والموانئ الأطلسية[1]، واتخاذهاقواعد للتوغل في المنطقة[2].

وفي ظل هذه الظروف التفتت القبائل المغربية المتمركزة بالجنوب ، وشيوخ الطرق الصوفية [3] ، إلى الأشراف السعديين ، المتمركزين بالجنوب ، لوضع حد للغزو البرتغالي والاسباني، والعمل على تحقيق وحدة المغرب الأقصى[4].

ومن هنا تمت مبايعة أول خليفة للدولة السعدية سنة (915هـ / 1509م - 1510م) ، في مدينة تيدسي[5] قرب تارودانت[6]، أبا عبد الله محمد الملقب بالقائم بأمر الله[7]-[8].

وبهذا سيعرف المغرب الأقصى خلال سنة 1509م، حتى1578م، أوضاعا سياسية متغيرة خلال الحكم السعدي.

2- الحياة السياسية بالمغرب الأقصى في ظل الحكم السعدي (1510م-1578م)

2-1: الأوضاع الداخلية

2-1-1- الصراع السعدي الوطاسي

عملت الدولة السعدية في البداية على كسب ولاء الوطاسيين[9]، وعدم الدخول في نزاع معهم حتى أنهم قاموا بمحاربة القبائل الخارجة عن طاعة هؤلاء، إلا أنه بعد تولي أحمد الأعرج[1]،

---

[1]- احتلت اسبانيا على من غساسة سنة 1504م ، وحجر بادس سنة 1508م ، أما البرتغاليون فقد سيطروا على كل من مازاكان سنة 1502 م ، أغادير سنة 150 م آسفي 1508 م ، وآزمور سنة 1513م.
- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص ص66-67.

[2]- تمثلت هذه الطرق في كل من الطريقة الشاذلية ، الجزولية والقادرية .

[3]- يعود تاريخ وجودهم بالمنطقة إلى القرن 12 م ، وقد اختلفت الآراء حول نسبهم الشريف ، فهناك من يرى أصلهم من ينبع النخل أرض الحجاز أي ينحدرون من النفس الزكية، وهناك من يرجع نسبهم إلى قبيلة بني سعيد بن بكر هوزان، قبيلة حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ، وهناك من يرجع أنهم بنو عم العلويين أشراف سلجماسة، وأول من هاجر من أسلافهم المولى زيدان بن أحمد الذي نزل بدرعة و ظلوا يعيشون حياة دينية بسيطة إلى أن مبايعة أول سلطان منهم "أبو عبد الله القائم بأمر الله" وللمزيد أنظر:
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا ، ج5، ،ص ص3-6.

[4]– عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 1427هـ / 2006م، ص31.

[5] - الإفراني، مصدر سابق، ص10 وما بعدها. والناصري، المصدر نفسه، ص6-13 .
- العروي، المجمل في تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص42-43.

[6] – تقع جنوب مراكش بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي شرق أغادير الحالية، أدى موقعها عليها، وقد ظلت مركزا مرموقا لتجارة الصحراء حتى قيام مراكش، ومع ذلك حافظت على مكسبها التجاري حتى القرن 10هـ / 16م. أنظر:
- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي افريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1420هـ / 1999م، ص305 .

[7]– هو محمد بن عبد الرحمان الملقب بالقائم بأمر الله ، أول أمير الدولة السعدية ،بويع سنة 1510م، نشأ على العلم والصلاح والدين، ومنذ توليه الحكم دعا الناس للجهاد ضد البرتغاليين و حقق ضدهم انتصارات عديدة، وتوفي سنة 1517م. أنظر :
- الناصري، المصدر السابق، ص ص06-09.

[8]– إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المجلد 02، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398هـ / 1978م، ص274.

[9]- هو فرع من بني مرين، عاشوا بالريف، اشتغلوا قبل عهد سلطنتهم (1471-1554م)، في مناصب عليا في الجيش والدولة.

العرش ستتغير هذه العلاقة ، وخاصة أن السعديين أصبحوا يسعون إلى تقوية نفوذهم في المنطقة [2]. ولكن الأمر الذي أثار حفيظة وشكوك الوطاسين اتجاه السعديين فتح أحمد الأعرج لمدينة مراكش[3] سنة 1524م، حيث أدركوا أن الأشراف السعديين لم يقتصر عملهم على الجهاد في المنطقة ضد الخطر الأجنبي فقط، بل العمل على تأسيس دولة آنذاك[4].

ترتب عن فتح السعديين لمراكش قيام عدة معارك بين الطرفين كمعركة أنماي[5]سنة 1528م التي انتهت بعقد الصلح بينهما، ومعركة شرع أبي عقبة سنة 1536م[6]، التي قامت بسبب نقض الوطاسيين لمعاهدة الصلح التي أبرمت في معركة أنماي[7].

وبعد وفاة الأب سنة1517م انتقلت السلطة إلى إبنيه "احمد الأعرج" الذي بويع بالخلافة و"محمد الشيخ" الذي ولي أمر السوس، وقد جاهد البرتغاليين ونافس الوطاسيين ثم أزاح "احمد الأعرج" أخاه "محمد الشيخ" [8] ودخل فاس سنة 1549م .

وبوصول محمد الشيخ للحكم، عمل على كسر شوكة الوطاسيين، والقضاء عليهم، بعد أن لفتت انتباهه فكرة توحيد المغرب، ففتح مكناسة الزيتونة[9] سنة 1548م وفاس سنة 1549م، ونفى الوطاسيين إلى مراكش[10].

---

[1]- هو أحمد بن محمد القائم بأمر الله ، ولد سنة 891 هـ ، تمت مبايعته سنة 918 هـ / 1517 م ، أي بعد وفاة والده ، خلال فترة حكمه دخل صراع مع الوطاسين ومع السعديين ، وبالضبط ضد أخيه محمد الشيخ السعدي ، الذي خلفه وسجنه إلى غاية وفاته سنة 964 هـ . أنظر :

- محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي ، ص 18 – 23 .

[2] - محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق ، ص 17.

[3] - أسست على يد يوسف بن تاشفين سنة 459هـ /1067م، تتمتع بخصوبة أراضيها، كثيرة الزرع، حاضرة المغرب.أنظر:

- مجهول ، مصدر سابق، ص208- 209 .

[4]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مج3، ج3، ط1، مكتبة مدبولي القاهرة، 1414هـ/1994م، ص124 .

[5]- وقعت هذه المعركة في أنماي قرب مراكش، سنة 935هـ بين السعديين والطاسيين ويرجع ذلك بسبب التمرد الذي نشب في مدينة فاس من طرف أبناء عم السلطان أحمد الوطاسي الذي كان منشغلا في تلك الفترة بمحاصرة مراكش سنة 1526م، ما استدعى السلطان الوطاسي إلى رفع الحصار والرجوع إلى فاس من أجل إخماد ذلك التمرد، وبعد ذلك استطاع أن يجهز حملة ضد السعديين فوقعت المعركة في منطقة أنماي، انتهت بعقد صلح بينهما سنة 935هـ-1528م. أنظر:

- الإفراني، المصدر السابق، ص 20، والناصري، مصدر سابق، ج4، ص150 .

[6]- وقعت هذه المعركة بسبب نقض الصلح من طرف الوطاسيين الذي أبرم في معركة أنماي، قرب نهر العبيد، وانتهت لصالح السعديين سنة 1536م. أنظر:

- الإفراني، المصدر السابق، ص20، والناصري ، المصدر السابق، ج4،ص ص153-154.

[7]- ابراهيم حركات ، مرجع سابق، ص277.

[8]- محمد الشيخ بن محمد بن القائم بأمر الله، ولد سنة 896هـ، نشأ في عفاف وصيانة، تربى على العلم منذ صغره، كان ملكا شجاعا، تولى عرش المملكة سنة 956هـ، اغتيل من طرف العثمانيين سنة 964هـ. أنظر :

- أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص212.

- العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة، عبد الوهاب منصور، ط2، ج5، المطبعة الملكية، الرباط، 1995م، ص131.

[9]- تقع غرب فاس وهي عبارة عن أربعة مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، أنظر:

- مجهول، مصدر سابق، ص 187.

[10]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 79.

وفي فتح محمد الشيخ لفاس يقول الإفراني[1] في كتابة النزهة : " لما دخل الشيخ حضرة فاس وعليه وعلى أصحابه الدراعات الصفر، البداوة لائحة عليهم، فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم يعني رسخ فيهم ذلك "[2].

ومن هنا نستنتج أن المغرب إنقسم بين دولتين داخليتين متصارعتين، الأولى في فاس، والثانية في مراكش ، إلى أن بدا في ذهن الأشراف السعديين، أنه من أجل التفرغ للخطر الإيبيري والجهاد ضده ، يستلزم في البداية القضاء على الخطر الداخلي أي الوطاسي، فتم ذلك بعد قتل آخر الوطاسيين أبو حسون الوطاسي[3]، الذي فر إلى الجزائر بعد فتح فاس سنة 1549م، في الاستيلاء الثاني لفاس سنة 1554م، من طرف محمد الشيخ.

2-1-2: الصراع السعدي السعدي

عرفت الدولة السعدية في البداية مرحلة وفاق، وتحالف بين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ، إلا أن العلاقات توترت فيما بينهما بسبب الدسائس[4]، فاندلعت الحرب بينهما وانتهت لصالح محمد الشيخ في معركة الكاهرة[5] سنة 1544م، والقيام بخلع أخيه وسجنه رفقة عائلته بمراكش[6].

ومنذ اعتلائه العرش استلولى على المناطق التي كانت تحت حكمه، وحكم أخيه من إقليم تادلا[7] إلى وادي النول، ولكن بعد اغتيال محمد الشيخ من طرف العثمانيين[8] واستخلاف ابنه عبد الله الغالب[9] الحكم، فإن عهد هذا الأخير لم يخلو من النزاعات الداخلية، فقد شهد قيام عدة

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الوفراني، ولد بمراكش حوالي سنة 1080هـ، نشأ على العلم والصلاح، من أبرز شيوخه محمد بن أحمد المسناوي وسعيد بن أبي قاسم العميري وغيرهم، له مؤلفات عديدة كروضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف، نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي وغيرهما، توفي ما بين 1038هـ و1156هـ، أنظر:
- الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق ، وتقديم، عبد المجيد الجيلالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 1425هـ/2004م، ص ص 13-20.

[2]- الإفراني ، النزهة ... ، مصدر سابق، ص 72.

[3]- هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن زكرياء يحي بن زيان الوطاسي، المعروف بأبي حسون، بويع بفاس سنة 932هـ، ثم قبض عليه من طرف ابن أخيه أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، وخلع في نفس السنة. أنظر:
- الناصري، مصدر سابق ، ج4 ، ص 149 .

[4]- نشبت بين الاخوين معارك عديدة ، بسبب الوشاة الذين أقنعوا الأعرج بأن محمد الشيخ لم يعدل في قسمة الغنائم المحصل عليها من فتح أغادير، فطلب من محمد الشيخ القدوم إلى مراكش إلا أن هذا الأخير رفض ذلك، إضافة إلى ذلك ، طلب محمد الشيخ تعيين ابنه محمد الحران كولي للعهد لأنه أكبر الأبناء، إلا أن الأعرج رفض ذلك .

[5]- وقعت هذه المعركة سنة 951هـ/1544م، بعد أن نقض الأعرج المعاهدة التي كانت بينه وبين أخيه ، ونتج عنها دخول محمد الشيخ إلى مراكش قاعدة ملك الأعرج بعد أن خلعه، وسجنه. أنظر:
- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص77.

[6]- الإفراني، النزهة ... ، مصدر سابق، ص 27-28.

[7]- إقليم شاسع يبتدئ من نهر العبيد، وينتهي عند نهر أم الربيع. أنظر:
- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ط2، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت. لبنان، 1983م، ص176.

[8]- دبر هذا الاغتيال السلطان العثماني، ففي فترة وجود محمد الشيخ بفاس بلغه نبأ تخلف بعض الجنود العثمانيين عن محلتهم، فعمل على جمعهم وضمهم إلى حرسه الخاص، وعندما سنحت لهم الفرصة اغتيال محمد الشيخ خلال إحدى أسفاره إلى تارودانت.

[9]- عبد الله بن محمد الشيخ بن أبي عبد الله القائم بأمر الله: الملقب بالغالب بالله ولد سنة 933هـ ، بويع بمدينة فاس سنة 964هـ، بعد مقتل والده، من مآثره بناء جامع المواسين بمدينة مراكش، والبركة به والمارستان، وقام بتجديد المدرسة اليوسفية سنة 972هـ بمراكش. أنظر:
- السملالي، مصدر سابق، ج8، ص 286-287.

ثورات على رأسها ثورة أخيه مولاي عثمان[1] ، إثر المذبحة التي قام بها ضد عمه الأعرج وعائلته[2]، أي يمكن أن نقول أن الغالب انتهج سياسة استبعاد المنافسين له على العرش، فقام بقتل أخيه عثمان، أما إخوته الباقون فقد التجئوا إلى الجزائر.

فلما تولى محمد الشيخ الحكم قام بتعيين الغالب على فاس، وعبد المؤمن على مكناس، أما أحمد[3] وعبد الملك[4] فعلى سجلماسة[5]. ولكن بعد تولي عبد الله الغالب حكم الدولة السعدية[6]، وتعيين ابنه المتوكل[7] خليفة لفاس التجئوا إلى الجزائر بسبب السياسة التي انتهجها أخوهم عبد الله في قتل كل من له علاقة بالبلاط السعدي خاصة بعد ما رأوا ما حل بعمه الأعرج و أخيهم عثمان .

وبوفاة الغالب انتقل الحكم إلى ابنه محمد المتوكل التي شهدت فترة حكمه صعوبات كثيرة ، فقد انتهز أعمامه المتواجدين بالجزائر سوء العلاقة بينه و بين الرعية من أجل استرجاع الملك[8]. وقد صادف السنة التي تولى فيها محمد المتوكل الحكم مساعدة عبد الملك و أحمد العثمانيين في احتلال حلق الوادي - تونس- ضد الإسبان[9].

وجه عبد الملك حملة ضد محمد المتوكل سنة 1576م ، انتهت لصالحه و فرار المتوكل من مراكش ، و التجائه إلى البرتغاليين ، وجاء هذا الانتصار نتيجة للمساعدة العثمانية لعبد الملك[10] ، فالفترة التي قضاها عبد الملك و أحمد في الجزائر وارتحلا إلى اسطانبول ، حيث استنجدا بالسلطان العثماني ، إلا أن هذا الأخير لم يرد على طلبهم ، إلى حين بلوغ أمر الإسبان تونس و الفساد الذي قاموا به في تونس ، فارتأى حينذاك سليم الثاني توجيه حملة عسكرية إليها ، و طرد الإسبان منها ، وانتدب على الحملة عبد الملك لمرافقة وزيره ، فاستطاعوا طرد الإسبان ،

---

[10]- عثمان بن محمد المهدي بن أبي عبد الله القائم بأمر الله: بعد رجوع الغالب من ملاقاته لحسن بن خير الدين قرب فاس، قام قضى على ثورة أخيه ، فتوفي عثمان قرب من تازا، أنظر:

- ابن العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بإبن القاضين، درة الحبال في أسماء الرجال، مج3، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة د.ت.ن، ص 211.

[1]- محمد عبد الكريم: المرجع السابق، ص 86.

[2]- ولد سنة 956هـ، بويع بوادي المخازن سنة 986هـ/1578م، ثم بمدين فاس، لقب بالمنصور والذهبي، توفي سنة 1012هـ/1603م، حكم مدة خمس وعشرين سنة، عرفت الدولة السعدية خلال حكمه أقوى مراحلها. أنظر:

- السملالي، مصدر سابق، ج2، ص ص 252-276.

[3]- عبد الملك بن محمد الشيخ المهدي بن أبي عبد الله القائم بأمر الله، خلع ابن أخيه محمد المتوكل سنة 984هـ/1576م، دخل في نزاع مع البرتغاليين، توفي يوم معركة وادي المخازن سنة 1578م. أنظر:

- ابن القاضي، درة الحجال ... ، مصدر سابق، ج3، ص 149.

[4]- تقع شرق درعة، وهي مدينة صحراوية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، أنظر:

- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص128.

[5]- صلاح عقاد، المغرب العربي الكبير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.ن، ص47-48.

[6]- محمد بن عبد الله بن محمد الشيخ المهدي: المعروف بالمتوكل على الله، بويع بعد وفاة والده عبد الله سنة 981هـ، من طرف أهل فاس، كان فقيها، عالما، أديبا وفنانا ،وسفاحا، خلع من طرف عمه عبد الملك سنة 1576م، فالتجأ إلى البرتغاليين لمساندته ضد عمه، فوقعت بينهم معركة واد المخازن سنة 1578م، انتهت بقتل سباستيان والمتوكل، ووفاة عبد الملك. أنظر:

- السملالي، نفس المصدر ، ج2 ، ص ص 156-171.

[8]- صلاح العقاد، مرجع سابق،ص53.

[9]- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة ، محمد مزالي و البشيربن سلامة ، الدر التونسية للنشر ، تونس ،1978م ، ص 269.

[10]- محمد عبد الكريم ، المقري وكتابه نفح الطيب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.ن، ص ص 46-50 .

و احتلال حلق الوادي . وعلى إثر ذلك قدم السلطان العثماني المساعدة لعبد الملك من أجل استرجاع حكمه من المتوكل [1] .

اعتمادا على ما سبق ، ستندلع معركة واد المخازن [2] سنة 1578م ، والتي تعد نقطة التحول للدولة السعدية و البرتغال،وبداية عصر القوة للسعديين بعد تولي أبو العباس أحمد السعدي الحكم .

2-1: الأوضاع الخارجية

2-1 -1-الصراع السعدي البرتغالي

تمكن القائم بأمر من تحقيق انتصارات عديدة ضد البرتغاليين المتمركزين شمال السوس[3] ، وبالضبط قرب أغادير [4]، أما إبنه الأعرج فقد عمل على تعبئة و تجنيد الجيوش ولا سيما في مناطق الثغور ، كما أنه شن غارات على البرتغاليين لتحرير الموانئ التي سقطت بأيديهم .

كما ألحق بهم خسائر كثيرة بمدينة آسفي[5] ، سنة 1526م ، جعلتهم يفقدون الفرصة للتوغل في في الداخل [6].

وبما أن محمد الشيخ يعد المؤسس الحقيقي للدولة السعدية فقد حرر واسترد بعض السواحل، و الموانئ التي كانت بأيدي البرتغاليين كأغادير ، أصيلا[7] و القصر الصغير[8] ما بين سنتي 1549-1549-1550م. و لم يبقى بيد البرتغاليين سوى طنجة [9] ، سبتة [10] و مزغان[1] .

---

[1]- عبد الله كنون ، " **عبد الملك المعتصم بطل معركة واد المخازن** " مجلة المناهل ، العدد 13 ، السنة الخامسة ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ،1399هـ/1978م ،ص ص 09-11 .

[2]- عرفت معركة واد المخازن ، بمعركة الملوك الثلاثة و معركة القصر الكبير ، جرت سنة 986هـ - 1578م ، بين الدولة السعدية و البرتغال .

[3]- تمتد من رأس أغير (قرب أغادير) ، حتى رأس نون يحدها غربا المحيط الأطلسي ، ورمال ليبيا جنوبا ، و إقليم درعة شرقا ، أما من جهة الشمال فالسوس البربري . للمزيد أنظر :

- مرمول كربخال ، إفريقيا 1988 -1989م ، ص 139 ، و عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق ، محمد السعدي العريان ، د.ت.ن ، ص447.

[4]- الإفراني ، النزهة ..... مصدر سابق ،ص 19 .

[5]- بنيت على يد الأفارقة القدماء على شاطئ البحر المحيط ، يقطنها عد كبير من السكان ، عرفت منذ القدم بكثرة الصناع ، أراضيها خصبة ، احتلت من طرف البرتغال سنة 1508م ، أنظر :

- الوزان ، مصدر سابق ،ص 147-151 .

[6]- ابراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 19 .

[7]- عرفت عند الأفارقة بأزيلا ، أسست على يد الرومان على شاطئ المحيط ، كانت خاضعة لأمير سبتة الذي كان تابعا للرومان الذين استولوا عليها ، أنظر :

- الوزان ، مصدر سابق ، ص313 .

[8]- أسست على يد المنصور الموحدي ، لحاجته العبور إلى الأندلس ، سكانها متحضرون و بحارة ، هاجمها البرتغال إلى أن رفع عبد الله المريني ، الحصار عنها سنة 863هـ/1459م ، أنظر:

- الوزان ، مصدر سابق ،ص 316.

[9]- تدعى عند البرتغاليين طنيجرة ، و هي مدينة عظيمة ، سكانها متحضرون ، احتلت من طرف البرتغاليين حاول محمد البرتغالي تحريرها عام 917هـ .أنظر:

- مجهول ، الاستبصار....، مصدر سابق ، ص ص 138-139 ، و الوزان ، مصدر سابق ، ص ص 313-315 .

[10]- عرفها أبو الفدا بأنها مدينة بين بحرين ، المحيط و بحر الروم ، و هي مورد البرين ، بر العدوة و بر الأندلس. ، أنظر :

- اسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 70.

أما في عهدي عبد الله الغالب و المتوكل، فقد ظهرت سياسة الملاينة والمهادنة مع البرتغال و ذلك ما سيبرز خلال استنجاد المتوكل بالبرتغال لاسترجاع ملكه من عمه عبد الملك السعدي [2] ، و لكن في عهد هذا الأخير ازدادت حدة أطماع البرتغاليين في السيطرة على المغرب الأقصى فانتهزوا فرصة استنجاد المتوكل بهم لتحقيق طموحاتهم [3] .

1-2-2: التقارب السعدي الإسباني

بدأت ملامح الإسبان تظهر على المغرب الأقصى بعد وصول محمد الشيخ للحكم ، فقد عملوا على التقرب منه بعد فشل السعديين و العثمانيين في توحيد جهودهم ، الأمر الذي دفع الإسبان لتحقيق التقارب وتوسيع نشاطاتهم بالمنطقة خاصة عن طريق التجارة [4]. وقد انتهج الغالب نفس سياسة والده ؛ فلوضع حد للأطماع العثمانية بالمنطقة و خلق توازن في مجرى العلاقات المغربية الخارجية [5]، تقرب هو أيضا من الإسبان بهدف الحفاظ على استقلالية المغرب ، مقابل التنازل لهم عن حجر بادس سنة 1564م ، وشجع الإنجليز على التجارة في المغرب ونظم مدينة فاس،وترك لابنه "محمد المتوكل" (1574 - 1578م) دولة قوية[6]. وفيما يخص عهد المتوكل و عبد الملك ، فقد انتهجا نفس السياسة التي اتبعها السابقون ، ففي الفترة التي استولى فيها عبد الملك على مراكش ، استنجد المتوكل بإسبانيا، ولكن في ظل هذه العلاقات التي جمعت بين عبد الملك و فيليب الثاني ،عزمت إسبانيا التخلي على المتوكل ، أي تفادي الدخول في صراع مع القوة السعدية [7].

1-2-3:الصراع السعدي العثماني

تعود أصول هذا الصراع إلى عهد محمد الشيخ ، أي بعد لجوء أبي حسون الوطاسي إلى الدولة العثمانية واستنجاده بهم ، وكذلك إلى الحملة العسكرية التي قادها محمد الشيخ إلى تلمسان سنة 1550م . وقد استفحل الصراع أكثر بعد أن وطدوا العثمانيون نفوذهم أكثر في كل الجزائر، تونس، طرابلس و مصر. ورغم إرسال العديد من السفارات العثمانية إلى المغرب[8] ،إلا أن السعديين رفضوا ذلك و حافظوا على استقلالية المغرب [9].

و بهذا اتسمت العلاقة العثمانية السعدية بالتوتر؛ ففي سنة 1554م طرد محمد الشيخ "أبا حسون" الوطاسي من فاس فأصبح المؤسس الحقيقي للدولة السعدية،وواجه أطماع العثمانيين فتعاون مع الإسبان ، مما تسبب في قتله بعد مؤامرة دبرها له حاكم الجزائر "الحسن بن خير الدين"سنة

---

[1]- الغنيمي ، مرجع سابق ، ص 129 .

[2]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ،ص ص 91-95 .

[3]- الناصري ، مصدر سابق، ج5 ، ص 69 .

[4]- محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، ط1، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،1991م ، ص 89-91 .

[5]- عماربن خروف ،مرجع سابق ، ص 91 .

[6] - انظر حول سياسته، الناصري ، نفس المصدر ، ص38-57، وكذلك :

- Henri Terrass ;Histoire de Maroc,op, cit, T2, p181

[7]- محمد بن عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 49 .

[8]- نفسه ، ص 172 .

[9]- ابراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 289 .

1557م [1]، ردا على توسعه في تلمسان وتطاوله على سليمان القانوني العثماني ، فخلفه ابنه "عبد "عبد الله " الملقب ب"الغالب بالله"(1557-1574م). وفي نفس السنة قام حاكم الجزائر لحسن بن خير الدين بتوجيه حملة من تلمسان لاحتلال مدينة فاس ، إلا أن هذه المعركة انتهت لصالح الغالب، ووقعت هزيمة العثمانيين لأنه رفض الاعتراف بالسيادة الرمزية للدولة العثمانية.

وتبعا للسياسة التي انتهجها الغالب في قتل منافسيه في العرش ، استنجد إخوته بالعثمانيين من اجل استرجاع الملك من المتوكل ، و لكن الدولة العثمانية كانت منهكة في تجهيز حملة وجهتها لاحتلال تونس ، فعرض الأخوان المساعدة على السلطان العثماني مقابل مساعدتهم له في استرجاع العرش[2].

وبعد فتح مدينة تونس سنة 1574م ، وجه العثمانيون حملة بقيادة الأخوين "عبد الملك" و"أحمد" [3]، ونجحا في استعادة الحكم سنة 1576م .

تقلد عبد الملك العرش سنة 1576م ، و قبل أن يتفرغ لمحاربته ، قام المتوكل بتقديم تعويض للسلطان العثماني قدر بخمسمائة (500) ألف دينار ذهبي[4] . و منذ أن تقلد الحكم حاول التخلص من التبعية العثمانية لأنه سيعني للمغرب الدخول تحت الحكم العثماني ، خاصة وأن الدولة السعدية قد بلغت آنذاك قوة مجابهة للقوى المجاورة لها[5] .

نستنتج مما سبق ، أنه بوصول الدولة السعدية لمرحلة القوة وجدت نفسها أمام قوى مجاورة لها أطماع و طموحات بمنطقة المغرب الأقصى ، إلا أن حكمة و ذكاء السلاطين السعديين حالت دون ذلك ، بحيث مكنتهم من خوض غمار العلاقة الدبلوماسية و الوصول بدولتهم إلى الذروة .

فر "المتوكل" إلى الإسبان، طالبا المساعدة لاستعادة الحكم فلم يستجب له الإسبان ولكن الملك البرتغالي "سان سبيستيان" وافق على طلبه ، فكانت واقعة "واد المخازن" في 1578/08/04م ، التي قتل فيها الملك البرتغالي و"المتوكل"غرقا و"عبد المالك" مرضا ، وبويع بعدها "أحمد" أخ "عبد الملك" حاكما للدولة السعدية (1578م/1603م) ، بيعة عامة من رجال الحل والعقد ثم من شيوخ القبائل والأقاليم ،ولقب بالمنصور[6]، وحاول العثمانيون تنصيب "إسماعيل بن عبد الملك" ففشلوا. وقد ساعده الانتصار في المعركة والحصول على غنائم وافرة والاستيلاء على مئات الأسرى الأسبان ، على بناء دولة قوية وكسب سمعة مرموقة.

---

[1] - الإفراني ، مصدر سابق، ص38 وما بعدها.

-Henri Terrass ;Histoire du Maroc,op,cit,T2,p163-171

[2]- ابراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص ص 289- 290.

[3] - كان عبد المالك وأخوه أحمد قد ثارا في وجه أخيهما، واتجها إلى الجزائر، طلبا للدعم فسافرا إلى اسطانبول حيث قبل السلطان العثماني دعمهما ، وقد التحق بهما أخوهما عبد المؤمن وجاؤوا بجيش كبير إلى المغرب.

[4]- الناصري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 65.

[5]- عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، مج 8 ، مكتبة الإسكندرية ، 1408هـ/1988م 1408هـ/1988م ،ص 44 .

[6] - الناصري ، نفس المصدر ، ص- ص59- 86.

- شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مرجع سابق، ص- ص269-271.

تقلد المنصورالسلطة العليا بلقب خليفة المؤمنين وساعده أعضاء آخرون (صاحب خرائط الدار،أصحاب الشورى ،صاحب المظالم).

وقد اضطر المنصور إلى قمع التمردات المحلية، بقيادة "داود بن عبد المومن، المرابط الحاج قراقوش" سنة1588م ، "الناصر بن عبد الله " أخ المتوكل 1595م،"محمد الشيخ المأمون بن المنصور"[1]، وكذا جنده أكثر من مرة وإحباط مؤامرات الزوايا وكبح جماح القبائل البربرية، فكون جيشا مزدوجا أحداهما نظاميا من الأتراك ،الأندلسيين وبعض أهالي مراكش، والآخر من المتطوعين من أبناء القبائل. ودعم قوته العسكرية ببناء الثكنات والقلاع والأبراج وأسطول بحري. ونصب أبناءه على الولايات الهامة وكانت له عيونا في البلاد[2] ، وبنى قلاعا حصينة في تازا وفاس والعرائش[3]. وقد بلغ عدد الولايات في عهده إثنتا عشر ولاية ، قسمت إلى قيادات يرأسها باشا وله مساعدون.

كما حاول استرجاع بعض المدن المستعمرة مثل مدينة أصياد سنة1589م ،واسترجع مدينة سبتة مؤقتا. ووصف المنصور بأنه كان رجل دولة مثقف ، فقيل أنه خليفة العلماء وعالم الخلفاء.

تميزت مرحلة حكمه بالهدوء والرخاء، وقد اهتم السلطان بالتجارة التي كانت نشيطة في عهده وطور الأنشطة الصناعية واستعان باليهود والأندلسيين. تبنى *سياسة* عمرانية خلدها بمنشاءات مثل قصر البديع المراكشي[4] والمسجد (الجامع) بمراكش سنة1587م .

وكانت الإدارة تقوم على مجموع قبائل المخزن التي تتحكم في مجموع المغرب وتقتطع الضرائب، حيث قسم المغرب إلى قسمين : المغرب الرسمي (بلاد المخزن) ويحتوي على أراضي جماعة المسلمين الخاضعة للأداء العقاري والتي تسكنها القبائل العربية ويسير أمرها المخزن، والمغرب الأقصى المستقل (بلاد السيبة) الذي لم يتخلص من نفوذ السلطان الفعلي بل كان دائما على أهبة للانقضاض على بلاد المخزن، وكان للسلطان بلاط عظيم الشأن يستقبل فيه الأجانب في أبهة كبيرة[5].

ومن انجازات المنصور الخارجية غزوه بلاد السودان . وقد اندفع المنصور لتجسيد المشروع طمعا في ذهب السودان ورغبة في التوسع وتأسيس إمبراطورية واسعة ؛ فأرسل جيشا ضخما عبر سجلماسة ووصل إلى توات ، وقورارة ، ثم واصل زحفه إلى مملكة سنغاي سنة1590م بقيادة جودر باشا [6]ورغم عروض التفاوض التي أطلقت إلا أن جيش المنصور أصر على

---

[1] - الفشتالي ،مصدر سابق ، ص ص170- 189.
- الإفراني ، مصدر سابق ، ص179.

[2] - الفشتالي ،نفس المصدر ، ص207.

[3] -Henri Terrasse , Op Cit , p194.

[4] - الفشتالي ، نفسه ، ص253.

[5] - انظر حول سيرة وانجازات المنصور:
- الفشتالي ، نفس المصدر ، ص 200 وما بعدها .
- الناصري ، مصدر سابق، ص ص89-168.

[6] - الفشتالي ، نفسه ، ص201.

المواجهة واستباح المنطقة نهبا وتهديما وجلب عشرة ألاف مثقال من الذهب ،وآلاف من الرقيق والعلماء منهم احمد بابا طمبوكتي المولود سنة 1556م.فكانت الحملة نهاية لمملكة سنغاي الإسلامية[1].

ونجح المنصور في تجاوز أزمة الدولة العثمانية عهد "مراد الثالث "، وتقرب من الانجليز أعداء الإسبان فأسس لهم شركة تجارية سنة1585م، ثم حاول التقرب تدريجيا من الإسبان فتنازل لهم عن ميناء العرائش[2].

ومنذ وفاة أحمد المنصور عام 1603م دخلت البلاد في ازمة ،نتيجة الافتتان على السلطة بين أبناء المنصور وهم زيدان ومحمد الشيخ وأبو فارس خلال الفترة ما بين سنتي 1610/1603م، ثم امتدت إلى أبنائهم إلى أن قضى العلويون على نفوذهم نهائيا عام 1659م[3]، وأدى جو الاضطراب هذا إلى نتائج وخيمة تمثلت في :

- مقتل الكثير من جيش المنصور النظامي، والكثير من سكان مدينتي فاس و مراكش على الخصوص .

- انقسام المغرب إلى مملكتين شمالية عاصمتها فاس لمحمد الشيخ و بنيه، وجنوبية عاصمتها مراكش لزيدان ثم لبنيه.

- اضمحلال المملكتين المتنازعتين مما هيئهما للسقوط. وقد اختفت مملكة فاس في سنة 1627م على أيدي أنصار المجاهد العياشي(1614م/1641م) في الشمال الغربي الذي حاول تحرير منطقة مابين طنجة ميناء العرائش [4] .

- استئناف الأسبان غزوهم لموانئ المغرب، وتمكنهم من احتلال ميناء العرائش بالتواطؤ مع محمد الشيخ في سنة 1610م، ثم ميناء المعمورة في سنة 1614م. وكانت للإنجليزوالهولنديين أطماع في احتلال مواقع أخرى بعد أن سبقهم الإسبان إلى المينائين المذكورين.

- تجدد نشاط القوى الدينية(الزاوية السملالية[5]، الزاوية الدلائية[6] بالأطلس الأوسط) والقبلية (أمراء أسرة النقسيس في تيطوان)[1] ،وعملها على تقليص نفوذ السعديين والقضاء عليهم، وعلى وعلى تأسيس إمارات لها هنا وهناك.

---

[1] - انظر عن الحملة: الناصري، مصدر سابق، ص- ص121-125.
- الفشتالي، نفسه ، ص209 وما بعدها.

[2]- للمزيد عن علاقات المنصور بدول أوروبا . راجع :
- محمد خير فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، جامعة دمشق، 2002-2003، ص ص 81-91.

[3] -انظر بالتفصيل :
- الناصري ، المصدر نفسه، ج6، والإفراني، مصدر سابق، ص200 وما بعدها،
- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، مرجع سابق، ص- ص72-73.

[4] - الإفراني ، مصدر سابق ، ص ص263-264.
- عبد اللطيف العياشي ، الحركة العياشية ، الرباط ، 1982،ص86.

[5] - أسسها أبو حسون علي بن محمد بن أبي العباس أحمد بن موسى السملالي (1611-1659م) ، وفي عهده ضم عدة أقاليم (سجلماسة، درعة، السوس) ثم تراجع أمام العلويين .
- محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص103.

[6] - تنسب إلى مرابطي الدلاء من قبيلة مجاط الصنهاجية ، ظهرت منذ القرن الرابع عشر ، تنسب إلى أبي بكر الدلائي الذي أسس زاوية سنة 1566م ، نشطت في عهد أبي بكر منذ1612م ، ناصرت السعديين ، ثم قاومتهم في عهد محمد الحاج 1637م وحررت عدة مناطق ، لكنها تراجعت أمام العلويين. راجع :

و يمكن القول أن المغرب الذي وحده محمد الشيخ السعدي أواسط القرن السادس عشر الميلادي، مال من جديد إلى التجزؤ والانقسام في عهد أحفاده فعادت القوى الدينية والقبلية إلى نشاطها على نطاق واسع، قبل أن يتمكن أبناء الشريف بن علي من القضاء على الإمارات التي أنشأتها تلك القوى على حساب دولة السعديين، بعد أن أنهكتها الفتن الداخلية ولم تعد تقوى على محاربتها، فانهارت أمامها نهائيا سنة 1659م. وبذلك دخل المغرب عهد الدولة العلوية الجديد.

3- الدولة العلوية

في ظل الظروف المضطربة التي عاشها المغرب بعد وفاة المنصور،كان لا بد من ظهور قيادة جديدة في الميدان فكان ظهور الأشراف العلويين[2] في الجنوب على يد المولى الشريف بن علي (1631-1637م)، الذين فرضوا نفوذهم على شرق المغرب وأبعدوا بعدها آخرحكام السعديين (أحمد عباس بن محمد الشيخ) سنة1659م،حيث توفي الشريف بن علي وظهر نزاع بين الأخوين محمد الشريف (1637-1664م) والرشيد (1664-1672م)، وانتهى الأمر للرشيد الذي فرض سلطته على كامل البلاد ، بعد أن استولى على منطقة فاس واتخذها عاصمة له ، وأنهى إمارة النقسيس بتطوان ونفوذ الدلائيين على الأطلس الأوسط سنة1668م، وسيطر على تافيلالت وتارودانت ومراكش، وتمكن من وضع أسس الدولة القوية.وبذا اعتبر أول سلاطين العلويين في المغرب الأقصى[3].

وبعد وفاته في مارس 1672م،تولى أخوه المولى إسماعيل(1672-1727م)[4] ، وتمكن من الاستيلاء على فاس وكسب اعتراف العلماء والأشراف بحكمه.وقد واجهته عدة ثورات محلية من قبل ثلاثة من إخوته وأبناء أخيه أحمد بن محرز، الذين استقلوا ببعض الأقاليم وتلقوا التشجيع من العثمانيين في الجزائر، واضطر المولى إسماعيل لمهادنتهم، فاعترف بأحدهم حاكما على مراكش وبآخر حاكما على السوس، وقامت ضده ثورات أخرى منها ثورة ابن عمه المولى أحمد بن محرز في تازة وثورة الريف وثورة فاس، وثورة الخضر غيلان بتطوان[5]، وتدريجيا استطاع المولى إسماعيل التخلص منها جميعا، وبادر المولى إسماعيل بعدة حملات عسكرية على مناطق الأطلس والصحراء لفرض سلطته، فنجح في بسط الأمن في مختلف المناطق بجيش متعدد أهمه جيش عبيد البخاري وقبائل الودايا،وقبائل البادية والأعلاج

- محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص107-110.

[1]- من أصل أندلسي بتطوان أين أسسوا حكومة.

[2] - يرجع أصل العلويين إلى الحسن السبط (عن طريق محمد النفس الزكية) ، جاء جدهم الأول الحسن بن القاسم الذي يمتد نسبه الى محمد النفس الزكية والملقب ب"الداخل الحسن"حوالي القرن الـ13م إلى المغرب وسكنوا جنوب جبال الأطلس في واحة تافيلالت سجلماسة.

- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي بني حفص وبني زيان وبني مرين وبني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين ، ج6، ط1، مكتبة مدبولي القاهرة ، ص353.

[3]- محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص249-252.

[4] - ولد سنة 1646م وهو أخ المولى الرشيد امتاز بالحزم وحسن التصرف والطموح، اتخذ مكناس عاصمة له، عرف بحبه للحروب والمال والنساء ،عاصر الملك الفرنسي "لويس 14"، والإسباني "شارل الثاني"، والإنجليزي "جاك الثاني" والداي الجزائري "شعبان".

[5] - محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص258-259.

والأندلسيين والنصارى [1] . كما أنشأ الحصون والجسور واهتم بإعادة بناء مدينة مكناس،على نمط مدينة" فرساي" الفرنسية [2]،كما حرر عدة مواقع من الاحتلال البريطاني والإسباني (المعمورة 1681م، طنجة1684م، أصيلة ، العرائش1691م)[3].

أما خارجيا فقد ربط العديد من العلاقات التجارية مع دول أوروبا وحافظ على علاقته الطيبة بحكام الجزائر رغم محاولاته التوسع في الغرب الجزائري ما بين (1691-1701م)[4].

وبعد وفاته عرف المغرب اضطرابات لمدة ثلاثين سنة(1727-1757م) حيث حكم البلاد ستة سلاطين ، ولم تستقر الأوظاع [5] ، إلا في عهد محمد بن عبد الله (1757 - 1790م) الذي فرض الهدوء واعتنى بالاقتصاد والعمران وأنشأ منائي السريرة سنة1765م، وفضلا سنة1727م.

وربط علاقات ودية مع الجزائر والأستانة وحافظ على صلة وثيقة مع الدول الأوروبية واسترجع مدينة مزاغران من البرتغال سنة1769م واهتم بالثقافة والعلم[6].

وبعد وفاته تولى ابنه اليزيد (1790- 1792م) ثم أخوه هشام بن محمد (1792-1797م) فأخوه سليمان (1797 - 1822م) ، الذي تصدى إلى حركات التمرد الداخلية وحارب الطرق الصوفية المنحرفة ، متأثرا بالحركات الوهابية .

أما خارجيا فقد واصل علاقاته الطيبة مع الجزائر، واستجاب إلى قرارات مؤتمر فينا سنة1815م[7] ومنه بدأ المغرب يفقد هيبته الدولية ، وبالضبط في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام (1822-1859م) ، الذي عاصر احتلال فرنسا إلى الجزائر1830م ، فدعم بداية مقاومة الأمير عبد القادر ثم استجاب إلى التهديد الفرنسي بعد واقعة وادي إزلي سنة1844م على الحدود المغربية الجزائرية وانتهت بمعاهدة لالة مغنية 1845/03/18م،وبموجبها ضبطت الحدود الجزائرية المغربية[8].ثم جاء عهد محمد بن عبد الرحمان بن هشام(1859-1873م) والذي في عهده احتل الإسبان مدينة تطوان 1860/02/06م ثم وسعوا نفوذهم في المغرب [9]،ثم خلفه الحسن الأول الأول بن محمد (1873- 1894م)،الذي حاول التصدي إلى الإطماع الخارجية ، فأرسى إصلاحات هامة، وأعاد الهيبة للدولة وحافظ على استقلالها وتحدي أطماع القوى الأوربية الكبرى، التي شعرت بالخطر من سياسته ، فدعت إلى عقد مؤتمر دولي حول المغرب بمدريد صيف1880م ، حضرته خمسة عشر دولة وانتهى بقرارات جعلت المغرب سوقا مفتوحا لدول العالم[10] ، حتى جاء عهد عبد العزيز بن الحسن(1894-1908م) ،الذي تواصل في عهده التنافس على المغرب ؛

---

[1] - الناصري ، مصدر سابق ، ج7، ص ص 56- 58.

[2]- أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا ، الرباط ، 1991، ص25.

[3] - محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص262-263.

[4] - نفسه ، ص ص263-270.

[5] - الناصري ، مصدر سابق ، ج7، ص ص 193- 194.

[6] - نفسه ، ج8، ص ص 20- 68.

[7] - محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص 285.

[8] - ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي ، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، ج 5، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، 2008، ص 55.

- الناصري ، مصدر سابق، ج9، ص54.

[9] - محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص 416-428.

[10] - محمد خير فارس، اريخ المغرب الحديث والمعاصر ، ص ص 428-458.

فبعد اندلاع ثورة سنة1900م ضد السلطان ،عرضت عليه فرنسا تدريب الجيش وحفظ الحدود مع الجزائر ، وسعت فرنسا إلى كسب رضا الدول المنافسة لها على المغرب ، بعقد سلسلة من الاتفاقيات مع ايطاليا سنة1902م ، بريطانيا في1904/04/04م ، ومع اسبانيا في اكتوبر1904م ،ثم بادرت فرنسا سنة1905م وطلبت من السلطان توسيع نفوذها العسكري فاحتج إمبراطور ألمانيا "وليام الثاني" ، ودعا لمؤتمر الجزيرة الخضراء سنة1906م وحضرته عدة دول وفازت به فرنسا، التي استغلت مقتل طبيب فرنسي في المغرب ، فاحتلت وجدة والدار البيضاء وثار العلماء وخلعوا عبد العزيز [1] وعينوا أخاه عبد الحفيظ (1908-1912م) والذي في عهده فرضت الحماية الفرنسية على المغرب في 30مارس1912م[2]. وفي1912/11/27م وقعت فرنسا واسبانيا اتفاقية تضع منطقة الريف (شمال المغرب) تحت سلطة الإسبان وبقاء طنجة منطقة دولية .

ثار المغاربة على الوجود الأجنبي ومن ذالك ثورة فاس 1912م وثورة ديسمبر1915م ،ثم حرب الريف (1921م- 1926م)، بقيادة محمد بن عبد الكريم بطل معركة أنوال سنة1921م.

خامسا : التطور السياسي لتونس في العصر الحديث

تعرضت تونس مطلع القرن السادس عشر الميلادي لحملات أوروبية لضعف السلطة الحفصية ،وتصارع عليها الإسبان والعثمانيون حتى نجح العثمانيون في فرض سلطتهم عليها عام 1574م ومنه تحولت تونس إلى إيالة عثمانية وتطور فيها الحكم العثماني ما بين (1574-1881م) ، عبر مراحل هي:

01-عهد الباشاوات(1574-1590م):

بعد إلحاق تونس بالجزائر، عمد علج علي وسنان باشا على تنظيم إدارة البلاد فأصبحت تابعة لسلطة بيلرباي الجزائر رمضان (1574-1577م) [3]، وعين عليها خلفاء لإدارتها، ثم قرر السلطان العثماني عام 1587م إعادة تنظيم مناطق الدولة في شمال إفريقيا، فتحولت تونس وطرابلس الغرب والجزائر إلى ثلاث نيابات تابعة للأستانة ، يديرها باشاوات يعينهم السلطان لفترة غير محددة. وتميزت إدارة البلاد باحتكار الأتراك للسلطة حيث قاد البلاد باشا يساعده الانكشاريون العسكريون، أو مجلس الديوان الإستشاري (يتكون من كبارالضباط والأعيان) ومديرية المالية(الباي) وقائد الانكشارية(الأغا) وبمجموعة الضباط دون الأغا(ومعناه ضباط صغار أي دايات وقائد السلاح البحري)[4] .

---

[1]- محمد خير فارس، المسألة المغربية ، بيروت ، 1980، ص 111 وما بعدها.

[2] - محمد خير فارس، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ص487-499.

[3] - جلال يحي، المغرب العربي ، ج3، دار النهضة العربية بيروت،1981، ص54.

[4] - زاهية قدورة ، مرجع سابق ، ص454.

ومع تقدم الزمن زاد نفوذ الجيش فتذمر منهم السكان مما أدى إلى حدوث ثورة داخل الديوان حيث ثار الضباط الصغار على قادتهم في عهد محمد باشا(1589-1590م) فأسقطوا نظام الباشاوية وعينوا أحدا منهم فتحولت البلاد إلى حكم الدايات[1] ،ووافقت الأستانة على ذلك عام 1591م[2].

2-عهد الدايات (1590-1631م)

بدأ عهدهم بحكم إبراهيم رودسلي وهو عسكري من جزيرة رودس اليونانية ثم تولى بعده عدة دايات تميزوا بالفردية وبقوة الشخصية ؛ إذ كان أغلبهم من قيادات الجيش مثل عثمان داي (1598-1610م)، ومن جنود البحرية الشجعان مثل مراد أسطا (1637-1640م)، وسياسيين دهاة مثل يوسف داي (1610-1637م)، وأحمد خوجة (1640-1647م)[3].وشهدت البلاد في عصرهم ازدهارا شاملا فأصبحت تونس وسيطا تجاريا بين سواحل المتوسط وإفريقيا كما ازدهر النشاط البحري،وعقدت معاهدات تجارية مع فرنسا ومدن ايطالية وغيرها.

أما داخليا ففرض الدايات الضرائب وقربوا أعيان المدن إليهم ، ووضعوا بعض القوانين الصارمة مثل (قانون الميزان أو الزمام الأحمر) الذي وضعه الداي عثمان[4] وأشاعوا الأمن. وعرفت كثيرا من المدن مظاهر الرخاء الاقتصادي والازدهار الثقافي.

وبوفاة الداي عثمان بدأت الدولة تضعف تدريجيا وخاصة بعد عهد الداي يوسف(1610-1631م) ،إذ حكموا البلاد بتسلط ، وقسموها إلى بايلكات يرأسها باي فرض سلطته المباشرة على القبائل، مما مهد لضعف حكم الدايات وطمع بايات الأقاليم في سلطتهم.

3- عهد البايات 1630-1881م

ظهر البايات بنفوذهم عهد الدايات في تونس التي كانت مقسمة إلى عدة أقاليم يرأس كل واحدة منها باي ، منح سلطات واسعة في إقليمه ورثها لذويه ، حتى حكموا تونس كلها منذ(1631-1956م)، إذ تولت أسرتان الحكم (الأسرة المرادية ثم الأسرة الحسينية).

3-1:عهد الأسرة المرادية1630-1702م

ينسب المراديون إلى مراد الكورسيكي المملوكي ، قائد الاسطول التونسي في عهد الداي يوسف، تحصل على لقب الباشا ، وتمكن من أن يشيد لنفسه نفوذا واسعا. وتولى السلطة بعد وفاة الداي يوسف سنة1631م ، وورث منصب الباي لأبنائه،الذين حكموا البلاد إلى غاية عام 1702م، ثم البايات الحسينيون منذ عام 1705م[5] .

اعتمدا على مغامراته ودعم القبائل والأعيان له، فأخضع لنفوذه الكثير من المناطق الداخلية إلى غاية 1631م . وخلفه إبنه حمودة باشا الذي اشتهر بإعادة تنظيم البايلك وتطوير الجيش الذي

---

[1] - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاحتلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص68-69.

[2] - محمد الهادي الشريف، المرجع نفسه، ص222.

[3] - نفسه، ص71-72.

[4] - الزمام الأحمر أو ما يعرف ب"قانون الميزان" ويعني الكتاب بالدرجة الأولى ، أما الأحمر نسبة إلى الخطر، وكان الشعب التونسي يخاف منه ، لأنه مظهر من مظاهر السلم و الأمان.

[5] - إحسان حقي ، تونس العربية ، بيروت ، 1970، ص 25.

أضاف له أفراد من الأهالي والصبايحية، وأصبح بذلك منافسا للداي في تونس، خاصة عندما نقل مقر حكمه إلى العاصمة تونس وأصبح يمارس السلطة الفعلية على البلاد. وفي الأخير تنازل أبناؤه عن السلطة،ولم تستقر الأوضاع حتى جاء ابنه مراد الثاني(1666-1675م) ،الذي أعلن صبغته التركية لكسب موقف السلطان العثماني، وتقرب من الأعيان لإعانته في الوصول للحكم، وحقق كثيرا من الإنجازات في فترة حكمه التي تميزت بالاستقرار[1].

ولكن لم يلبث أن استشرى النزاع بين أفراد الأسرة بسبب التنازع على السلطة، حتى عرفت البلاد ثورة عارمة ،انتهت بتنصيب مراد الثالث (1699- 1702م) ، الذي اتبع سياسة دموية حتى تمكن أحد قادة الجيش (ابراهيم الشريف) من اغتيال مراد الثالث، وحكم البلاد التي لم تعرف الاستقرارحتى1705م ، فقد عم التعصب ضد العرب في عهد ابراهيم الشريف وجمع عدة مناصب بيده(الباي/الباشا/الداي)، فاضطر السكان على طلب المساعدة من الجزائر التي تدخلت صائفة 1705م لاستتباب الأمن وفرض نفوذها، فهزموا ابراهيم الشريف وعين أهل الحل والعقد "الحسين بن علي سنة1705م" بايا على تونس لحب الشعب له [2]. وهكذا انتهى حكم الأسرة المرادية لصالح الأسرة الحسينية .

3-2:عهد الأسرة الحسينية 1705-1881م

عرفت تونس عهد الحسينيين استقلالا فعليا عن الأستانة ، أكدته تدخلات الجزائر وضغوط الدول الأوروبية والتفاف السكان حول الحسينيين .

و خلال اضطرابات سنة 1705م ، تدخل أعيان مدينة تونس لاقتراح "حسين بن علي" [3]بايا على تونس ، بحكم ما كان يتمتع به من خبرة إدارية وحكمة سياسية[4].

وقد عرفت تونس خلال الفترة (1728-1756م) اضطرابا سياسيا، وذلك بسبب قيام "الحسين بن علي" بنزع ابن أخيه "علي باشا" من ولاية العهد وتعويضه بأحد أبنائه، فلجأ"علي باشا" إلى الجزائر واستعان بها في وصوله للسلطة، وتميزت مرحلة حكمه بسلوكاته الدموية وتشدده في جمع الضرائب واحتكار التجارة. ومن أجل الحد من تجاوزاته سارت حملة جزائرية لتأديبه عام 1746م، ثم شنت حملة ثانية بعد عشر سنوات استطاعت أن تزيحه من السلطة وتنصب

---

[1] - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص- ص77-81.
- جلال يحي، مرجع سابق، ص- ص223-224.

[2] - نقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية (1881-1934م) ، القاهرة ، 1963، ص18.

[3] - تنسب الأسرة الحسينية الى الحسن بن علي من جزيرة كريت اليونانية،جاء والده كجندي بداية عهد المرادين .كان له ولدين (محمد، الحسين). تولى الحسين مناصب عسكرية منها آغا الصبايحية في عهد ابراهيم الشريف،حتى أصبح حاكما للبلاد .
- شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي العربي الكبير في العصر الحديث ، ط1، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة،1977 ،ص110.

[4] - من أصل أرناؤوطي وقيل أنه كورغلي، حقق الأمن والاستقرار في البلاد لعقدين من الزمن ، وأعاد تنظيمها وهيبتها بالاعتماد على العناصر التي جاءت به إلى الحكم، وورث السلطة لأسرته إلى غاية عام 1957م، انتشر في عهده العمران وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة .
- حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس، القاهرة، 1953، ص100.

ابني الباي حسين السابق محمد وعلي، وبدأ تدخل الجزائر في شؤون تونس واضحا وأثار فيما بعد حفيظة التونسيين[1].

ويعتبر "حمودة باشا" من أشهر بايات تونس (1782-1814م)، اعتمد في تنظيماته وإصلاحاته وعلاقاته الخارجية[2] ، على شخصيته القوية والعناصر المحلية في إعادة الاستقرار لتونس، و القضاء على تمرد الإنكشارية1811م والإهتمام بالتجارة،وتنظيم الجباية، وتشجيع الصناعة المحلية . وتصدى لتدخلات صالح باي قسنطينة 1806م ووجه حملة ضد علي برغل حاكم طرابلس الغرب 1795م .

كما واجه الاطماع الاوربية بداية القرن التاسع عشر، بالتصدي للبندقية وعقد معاهدات سلام وتجارة مع اسبانياعام1791م البندقية 1792م، كورسيكا 1795م الولايات المتحدة الأمريكية وصقلية وسردينيا 1799م والدانمارك1800م وانكلترا 1812م، وفرنسا 1803 ــ1808م[3].

وجعل "حمودة باشا" من تونس دولة مستقلة ذات سيادة ترتبط بالدولة العثمانية بروابط أدبية روحية ومصالح متبادلة [4]. وقد كان القرن التاسع عشر مضطربا من الناحية السياسية والاقتصادية، وأدى انفتاح الدولة على التجارة الأوروبية واقتراض المال إلى رهن مصيرها، وازداد التنافس حدة بين انجلترا وفرنسا للسيطرة على تونس، خاصة بعد احتلال الجزائر[5].

وبعد ذلك اهتم الباي "أحمد باشا" (1837-1855م) بالاصلاحات الحديثة مثلما فعل محمد علي في مصر، فأسس مدارس حربية وأخرى مدنية، واقتنى السفن والمعدات الحربية، وجلب الخبراء المستشارين العسكريين الفرنسيين والإنجليز لتدريب الجيش وأنشأ جيشا قوامه 25ألف رجل ومصنعا للدخيرة ودارا لصناعة السفن وبنى أسطولا اشترك به مع الدولة العثمانية في حرب القرم 1853-1856م وشجع نشر العلم وأكرم العلماء وعمل على إلغاء الرق[6]، وأنشأ مجلسا شرعيا لتنظيم القضاء [7].

وقد بدا أن الباي أنفق أمولا ضخمة مقابل أسلحة فاسدة واستأمن المستشارين الأجانب الذين تجسسوا على بلاده ودفعوا بها إلى اقتراض المال، خاصة في عهد الوزير خزندار (1837-1873م)، مما أدى إلى أزمة مالية حادة أثارت الاضطراب في البلاد، ودفعت انجلترا وفرنسا إلى فرض الاصلاحات التي رأتها مناسبة والرقابة المالية على خزينة الدولة عام 1869م، وأدت

---

[1] - محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص ص85-86.

[2]- رشاد الإمام ، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، الشركة الوطنية التونسية للنشر، تونس، 1980، ص ص 368-379.

[3] - ناصر الدين سعيدوني ، ولايات المغرب العثمانية الجزائر-تونس - طرابلس الغرب ، ط2، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر،2012، ص 55.

[4] - ناصر الدين سعيدوني ، نفس المرجع ، ص 44.

[5] - جلال يحي مرجع سابق، ص225.

[6] - صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص ص 152-160.

[7] - حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ،مج 2، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، 1991، ص 383.

سياسة زيادة الضرائب إلى ثورة السكان، بقيادة "علي بن غداهم" 1864م[1]. وفي عهد محمد باي الثاني بن حسين الثاني (1855-1859م) شهدت البلاد تطورا صناعيا وعلميا وأصدر وثيقة عهد الأمان1857م[2].

وفي عهد الباي "محمد الصادق" (1859-1882م) ظهرت إصلاحات جادة بقيادة الوزير "خير الدين باشا" (1873-1877م)، شملت أساسا إصلاحات دستورية (دستور1861م)[3] وتعليمية وتعليمية واقتصادية، ولكن جهوده اعترض عليها أصحاب النفوذ في الداخل والخارج،وهكذا أنهكت تونس بسياسة الرقابة المالية وهيمنة الرأسماليين الأجانب على ثروات البلاد وتهديدات القوى الأوروبية الطامعة في ضم تونس لنفوذها، وتقرر في مؤتمر برلين عام 1878م إعطاء تونس لفرنسا التي اعتمدت هذا الضوء الأخضر لتنفيذ حمايتها على تونس عام 1881م[4].

وعموما حاول بايات الأسرة الحسينية تحديث الدولة التونسية ، اعتمادا على عناصر وطنية، لكن تأزم الظروف المحلية واشتداد التنافس للإستعماري، حال دون صمود الحسينيين ووقعت البلاد في سلطة الحماية الفرنسية .

سادسا : التطور السياسي لليبيا في العصر الحديث

مرت إدارة ليبيا خلال العهد العثماني بأربع مراحل رئيسية هي: مرحلة البيلربايات العثمانيين(1551-1606م)، ومرحلة الدايات العثمانيين (1606-1711م)، مرحلة الأسرة القرمانلية (1711-1835م)، مرحلة الباشاوات العثمانيين (1835-1911م).

1: ليبيا خلال العهد العثماني الأول(1551-1711م)

1-1: مرحلة البيلربايات (1551- 1606م)

عين السلطان العثماني مراد آغا حاكما على طرابلس (1551-1555م) بدل درغوث باشا، فعمد إلى تنظيم البلاد إداريا وعسكريا، حيث نقل مركز إدارته من تاجوراء الى طرابلس الغرب ثم قسم البلاد إلى متصرفتين (طرابلس الغرب وبنغازي) تشمل الأولى أربع سناجق هي طرابلس، الخمس، غدامس، وفزان، وتشمل الثانية سنجقين هما بنغازي ودرنة. وحول الكنيسة إلى مسجد

---

[1] - محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ،ص ص95-99.

[2] - زهير الزواوي ، الإستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية الوطنية التونسية ،ط1، الأطلعية للنشر ، دون مكان، 2006، ص ص58-59.

[3]- نقولا زيادة ، مرجع سابق ، ص59.

[4] - عبد الرحمان تشايجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية ، ترجمة عبد الجليل التميمي ،ط1، دار الكتب الشرقية بيروت، 1973، ص 54 وما بعدها.

- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت،2004، ص ص94-95.

واهتم بالطرق البرية التجارية ونظم القبائل وجمع الضريبة[1]،وحصن العاصمة طرابلس للوقوف أمام محاولات فرسان مالطا استعادتها مثل سنة 1552م[2].

وبعد وفاته عام 1555م عين درغوث باشا حاكما على ليبيا(1555-1565م) فتمكن من توطيد الحكم العثماني فيها، حيث أخضع المناطق الداخلية وقضى على مثيري الفوضى ولاحق القبائل البدوية الثائرة مثل سكان غريان ، بني الوليد، وأحي طرق التجارة الصحراوية، وبذلك ساس البلاد سياسة رشيدة وإن كان انفرد بحكم الولاية حكما مركزيا ، وأسند بعض المناصب البسيطة الى الأهالي. وفي عام 1560م شن درغوث باشا حملة على جربة لطرد الاسبان منها واستطاع أن يهزم الاسبان[3]. وشارك درغوث باشا في الحملة على جزيرة مالطا في أوائل أفريل 1565م واستشهد في المعارك الطاحنة التي دارت هناك ونقل جثمانه إلى ليبيا[4].

وعرف عهد البيلربايات بعد درغوث باشا مرحلة الضعف والتقهقر لكون كثير من الحكام لم يكونوا في مستوى المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، فمال الجند إلى اللهو وجمع الثروة وكثرت الصراعات بين الجند الانكشارية والأهالي وأهملت شؤون البلاد، و تركت ليبيا لفترة دون حاكم ، إلى أن جاء يحي باشا حاكما للولاية[5].

جاء يحي باشا إلى طرابلس وهو عازم على ضبط الجند الانكشارية وإلزامهم بالطاعة ومنع الفوضى، فهابه الجميع وعاد الأمن تدريجيا للبلاد، وجدد الأسطول البحري، ولكن المنية وافته قبل أن يستكمل جهوده. واستغل الجند وضعية الفراغ السياسي وحالة الفوضى التي تسبب فيها الانكشارية لإعلان الثورة وطرد الجنود الأتراك الظلمة من بلادهم، وبمجرد انتقال هذه الأخبار للسلطان العثماني أمر علج علي أحد مساعدي درغوث بإدارة الولاية سنة 1568م[6].

وبمجرد وصول علج علي إلى طرابلس، جهز حملة لإخضاع ثوار تاجوراء، ثم التفت إلى بقية المناطق الثائرة، كما أخضع الجنود الانكشارية للانضباط، وتفرغ بعد ذلك إلى تحريك النشاط البحري وتحصين ميناء طرابلس، وقد عهد إلى علج سنة 1568م بحكم الجزائر ثم بقيادة البحرية العثمانية، وخلفه جعفر باشا على طرابلس.

وفي عهده حدثت واقعة ليبانت يوم 7سبتمبر1571م التي شاركت فيها طرابلس بثلاث سفن خسرت منها سفينتين، وساهم جعفر باشا في احتلال حلق الواد وتونس عام 1574م، وقد ثارت في وجهه القبائل نتيجة كثرة الضرائب ففروا نحو مدينة قفصة فعاملها بشدة[7].

---

[1] - محمود علي عامر ومحمد فارس، مرجع سابق، ص- ص167-169.

[2] - اتوري روسي، مرجع سابق، ص 182.

[3] - محمود علي عامر ومحمد فارس، مرجع سابق ، ص ص171-172.

[4] -انظر بالتفصيل:

- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة ، عبد السلام أدهم ومحمود الاسطي، بنغازي، 1970، ص150.

[5] - انظر ابن غلبون، مصدر سابق، ص74.

- محمود علي عامر ومحمد فارس، نفس المرجع ، ص175.

[6] - اتوري روسي، مرجع سابق، ص233.

[7] - محمود علي عامر ومحمد فارس، مرجع سابق، ص178.

وأمام تزايد احتجاجات السكان قرر السلطان تعويضه برمضان باشا[1]، فخفف الضرائب على السكان وحد من تعديات الحامية التركية. وعندما اندلعت الثورات في وجهه واجهها بدموية، ولم يخلص له الانكشارية بل غدروا به وقتلوه عام 1584م[2].

وعمت البلاد الفوضى واشتد الصراع بين الجند والسكان فعين السلطان مصطفى باشا ثم حسين باشا حاكما جديدا عام 1588م، ولكن هذا الأخير لم يصمد طويلا في وجه ثورة ابن نويرة ويحي السويدي، رغم مساعدته إيالات الجزائر وتونس، وفي عهده ظهر التنافس بين الكراغلة والانكشارية، وتمكن الانكشاريون في مرحلة الفوضى (1595-1606م) من تجريد الوالي من سلطاته وفرض نفوذهم القوي[3] . ومن ولاة هذه الفترة ابراهيم باشا 1595م اسكندر باشا1600-1606م وسليم باشا 1606م[4].

1-2: عصر الدايات (1610-1672)

تميز عهد الدايات بحكم الانكشارية التداولي، وبالصراع على السلطة؛ فبمجرد فوز الضابط سليمان بثقة الديوان اصطدم بالديوان وتنازل عن السلطة، وحافظ الديوان على الوضع المستقر إلى غاية عام 1611م، حيث تمكن الضباط صفر داي (1611-1614م) صاحب الثروة الهائلة من كسب ثقة الديوان وجمع السلطة بيده، وتفرغ بعد تعيينه رسميا من اسطانبول للتخلص من مناوئيه، وشجع الأعمال البحرية والصناعات، ولكن اهتمامه الجشع بجمع المال أثار عليه الانكشارية والسكان، فقرر السلطان تنحيته، وعين بدله حامد باشا واليا على طرابلس عام 1614م، طالبا منه عدم استخدام القوة ضد الأهالي، وما لبث أن عزل وعوضه سليمان باشا حاكما جديدا، وقد عرف بالحكمة والعدل في إدارة شؤون الإيالة.

وبعد اضطراب الوضع في ليبيا تدخل السلطان لتعيين الداي مصطفى شريف باشا عام 1619م الذي أعاد الاستقرار للايالة من جهة واستبد بسكانها من جهة أخرى، وقد استقر في الحكم مدة طويلة، وعندما اشتكى السكان ظلمه وغطرسته أمر بإعدامه عام1630م، وعين قاسم باشا خليفة له، الذي تحالف مع الديوان من أجل الحفاظ على الاستقرار ولو إلى حين، وفي عام 1633م تولى محمد باشا الصاقزلي الولاية بفرمان رسمي ولم يخيب أمل السلطان الذي لمح فيه شخصية قوية قادرة على إنهاء مرحلة الصراع وتحقيق الاستقرار، حيث عرفت البلاد هدوءا وازدهارا اقتصاديا ونشاطا بحريا، واستمر وضع الازدهار والقوة في عهد خليفته عثمان الصاقزلي (1649-1672م)[5]، ولكن الوضع تغير بعد ذلك، حيث عاد الضعف والانقسام

---

[1] - ابن غلبون، مصدر سابق، ص74.
- اتوري روسي ، مرجع سابق، ص ص232-236.

[2] - محمود علي ومحمد فارس ، مرجع سابق ، ص ص176-181.

[3] - انظر عن هذه الثورات وظروف تولي الباشاوات للحكم:
- محمود علي عامر ومحمد فارس، نفس المرجع ، ص ص183-186.
- اتوري روسي، مرجع سابق، ص ص236-247.

[4] - محمود علي عامر ومحمد فارس ، نفس المرجع ، ص 186.

[5]- نفسه ، ص ص196-200.

والصراع بين حوالي 42 دايا داخل الولاية وتدهورت أوضاعها حوالي أربعين سنة إلى حين قيام الأسرة القرمانلية[1].

2: عهد الأسرة القرمانلية[2] 1711-1835م

على إثر تدهور الأوضاع بطرابلس تمكن رجل اسمه أحمد القرمانلي من إعلان الثورة على الوالي، وتنصيب نفسه حاكما على طرابلس،وقد وافقت الدولة العثمانية على سيطرة هذه الأسرة وإن كانت العلاقة بين الإيالة والإمبراطورية ظلت علاقة شكلية.

حكم أحمد القرمانلي البلاد بقوة (1711-1745م)، وتميزت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار والتنظيم والتطور ومحاولة الإستقلال عن اسطانبول [3]. ولكن خلفاءه لم يحافظوا على هذا الاستقرار، حيث ساءت أوضاع الايالة الداخلية في عهد ابنه محمد باشا (1745-1767م) الذي عرف بالضعف والمجون [4]، ومع ذلك فقد أعاد الهيبة لبلاده ونشط الحملات البحرية وأرهب الأوربيين.

ولما تولي علي باشابن محمد السلطة في الفترة (1767-1796م) قضى على الفتن وأعاد الهدوء للبلاد، ولكن عوامل الضعف الاقتصادية وخاصة المجاعات التي ضربت المنطقة وكذا النزاع بين أبنائه من جهة والعشائر البدوية من جهة أخرى وبين الحضر والكراغلة وهجومات الأسطول الفرنسي عام 1785م هددت سلطته[5]. وأما فترة حكم أحمد باشا(1790-1795م) فتعتبر استمرارا لفترة حكم أبيه علي باشا[6]، ووصل خامس الباشاوات القرمانليين يوسف باشا (1795-1832م) للحكم إثر تمرده على أبيه علي باشا وأخيه أحمد باشا، وقد حقق الاستقرار والهدوء واهتم بالبحرية ووطد علاقاته مع الدولة العثمانية والدول المجاورة والأوبية، وفي عهده ساءت علاقات ليبيا مع الولايات المتحدة الأمريكية وأدى الأمر إلى حصار سنة 1801م. كما وقف إلى

---

[1] - حول مرحلة عهد الدايات والباشاوات أنظر:
- ابن غليون، مصدر سابق،ص77 وما بعدها.
- كوستانزيو برينا، طرابلس من 1510-1830، ترجمة ، خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1969، ص111 وما بعدها.
- اتوري روسي، مرجع سابق، ص- ص262-320.

[2]- ينتسب القرمانليون إلى مدينة قرمان جنوب الأناضول، جاء جدهم مؤسس الأسرة إلى طرابلس مع سنان باشا كبحار صغير 1551م لتحرير البلاد، ثم امتلك بعض المزارع في منطقة المنشية المجاورة لطرابلس، ومع مرور الوقت أصبح له نفوذا مع الأسر القوية في الإقليم بفضل مصاهراته، وقد وصل ابنه يوسف إلى مرتبة باش آغا الفرسان في منطقة الساحل خلال عهد الوالي خليل باشا، وبذل ابنه أحمد جهودا كبرى لتقوية نفوذ الأسرة ومكنها من حكم البلاد.
- راجع : رودلفو ميكالي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ترجمة، طه فوزي، معهد الدراسات العربية العالمية، 1961، ص ص11-12.

[3] - اتوري روسي ، مرجع سابق، ص275.
- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، ص160.

[4] - عمر علي بن اسماعيل ، انهيار الأسرة القرمنلية في ليبيا 1795-1835، طرابلس ، 1966، ص 47.

[5] انظر :
- ابن غلبون، مصدر سابق، ص157 وما بعدها .
- اتوري روسي ، مرجع سابق، ص- ص324-344، وجلال يحي، مرجع سابق، ج1، ص- ص225-226.

[6] - عمر علي بن اسماعيل ، مرجع سابق ، ص 278.

جانب نابليون ورفض قطع علاقاته مع فرنسا أثناء حملتها على مصر، وساءت في عهده الأوضاع المالية بسبب إجبار الدول الأوربية ليبيا على إطلاق سراح الأسرى والتخلي على النشاط البحري، فزادت ديونه ولجأ لفرض الضرائب، مما أدى إلى ثورة الأهالي في المنشية والساحل وبتشجيع من قناصل فرنسا وانجلترا وأمريكا وتونس[1]. وفي عهد ابنه علي باشا (1832-1835) استمر النزاع بين القرمانليين حتى نجح الباب العالي في استعادة السيطرة على طرابلس[2].

3: العهد العثماني الثاني (عهد الولاة الباشوات) 1835-1911م

مع تأزم العلاقات الفرنسية العثمانية وسقوط الجزائر في يد الإحتلال الفرنسي، تجلى للعثمانيين خطر الدول الأوروبية على إيالات المغرب العربي ، وأمام توغل محمد علي باشا في بلاد الشام، راجعت اسطانبول سياستها اتجاه الحكام المحليين للإيالات المغاربية ، ومنها إيالة طرابلس التي ازداد فيها التنافس بين الأمراء والبشاوات القرمانليين، واستقر رأي السلطان محمود الثاني على إرسال أسطول بقيادة نجيب باشا الذي أنهى حكم القرمانليين وأعاد ليبيا للسلطة العثمانية وكان نجيب باشا أول داياتها[3].

وقد تولى شؤون طرابلس في هذه المرحلة ثلاثة وثلاثون واليا توالت في عهدهم المجاعات والأوبئة ، مما أدى إلى سوء الأحوال السياسية والاقتصادية من جديد.

وقد عرف عهد نجيب باشا (1835-1837م) ثلاث ثورات كبرى، وتمكن من القضاء على الثائر عثمان آغا لكنه فشل في القضاء على ثورة غومه المحمودي في نفوسة وثورة عبد الجليل سيف النصر في سرت، حيث ظلا يتحكمان في منطقتهما ، حتى عهد الوالي الثاني حسن باشا (1837-1838م)، وخلال عهد علي أشقر باشا (1838-1842م) تم القضاء عليهما، وبذلك تفرغ الوالي محمد أمين باشا (1842-1846م) للإصلاحات الداخلية ، حيث قام بعدة تنظيمات إدارية وعمل على تحسين الخدمات والأوضاع الاقتصادية. وفي عهد محمد راغب باشا (1846-1848م) تواصلت الاضطرابات، وقد بذل جهودا معتبرة لتطبيق النظام وملاحقة الثوار وقطاع الطرق، وفي عام 1848م عين الوزير أحمد عزت باشا واليا على البلاد،وكان عادلا وحكيما فاهتم بالتعمير والزراعة، والانفاق على الفقراء، وجاء بعده مصطفى باشا عام 1851م، وقضى فترة حكمه في ملاحقة الثوار ومنهم غومة المحمودي، وجاء للسلطة بعده عثمان باشا (1855-1857م)، وعاد الوزير أحمد باشا للولاية للمرة الثانية، وقضى ثلاث سنوات في التنظيم وإنشاء الخدمات. وفي عام 1860م عين الوزير محمد نديم باشا، وكان من ذوي الهمة العالية، جاء بمبادرات ونظم أعجبت بها السكان، وفي فترة (1864-1882م) توالى على حكم البلاد إثنا عشر

---

[1] - للمزيد انظر : محمود علي عامر ومحمد فارس، مرجع سابق، ص220-232،

[2] - محمود علي عامر ومحمد فارس: الرجع نفسه، ص209-236.
- عمرعلي بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبية 1790-1835، ص47 وما بعدها،
- رودلفر ميكاكي، مرجع سابق، ص147 وما بعدها،
- اتوري روسي ، مرجع سابق، ص- ص346-411.

[3] - اتوري روسي ، مرجع سابق، ص- ص411-413، وجلال يحي ، مرجع سابق، ج2، ص446.

واليا، اهتموا بتنظيم الإدارة والقضاء، وكان المشير علي رضا باشا من أبرزهم نشاطا وخدمة للسكان[1].

وقد استمرت الأوضاع الداخلية في ليبيا على حالها حتى برزت تحديات إقليمية خارجية ، كاحتلال فرنسا لتونس 1881م وبريطانيا لمصر1882م وسعي الدولة العثمانية لتحصين ميناء طرابلس وزيادة عدد أفراد الحامية التركية بها. وقد حرص الوالي أحمد راسم (1881-1893م) على حماية ليبيا من أي خطر خارجي واستغل صلاحياته الواسعة في القيام بإصلاحات مهمة.

ومن الولاة الذين اقتفوا أثره في الاصلاح الولاة نامق باشا ،حافظ باشا ، رجب باشا وإبراهيم أدهم، وكلهم اهتموا بالتعليم والإدارة وتحصين الموانئ[2]. ورغم جهودهم المبذولة فإن ظروف الدولة العثمانية الداخلية والخارجية جعلتها تنشغل عن ولاية ليبيا. وخلال هذه المرحلة شكلت الدعوة السنوسية بقيادة محمد بن علي بن السنوسي[3] سلطة دينية وسياسية موازية لسلطة الولاة الأتراك[4]. وقد استغل الايطاليون في بداية القرن العشرين ضعف الدولة العثمانية وليبيا، لاحتلال البلاد، وأنهوا بذلك الوجود العثماني في البلاد بتسيير حملة عسكرية عام 1911م.

وهكذا عرفت فترة الوجود العثماني في ليبيا أنظمة حكم مختلفة،تميزت ببعض مظاهر الهدوء والاستقرار والرخاء من جهة ، و فترات التقهقر والانقسام من جهة أخرى.

سابعا : علاقات الأقطار المغاربية الخارجية

باعتبار أن بلدان المغرب العربي كيانات شبه مستقلة فقد ربطت علاقات خارجية بعضها في إطار التضامن الإسلامي مع الدولة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية ، وبعضها في إطار التوازن الدفاعي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

1- مع المشرق الإسلامي (الدولة العثمانية): باستثناء المغرب الأقصى، فقد اتسمت علاقات الجزائر تونس وطرابلس الغرب مع الخلافة العثمانية بالتعاون والتبادل الثنائي المتمثل في مساعدة العثمانيين في تشكيل الكيانات السياسية في الجزائر 1518م وطرابلس الغرب 1551م، وتونس 1574م، وطرد الإحتلال الإسباني من سواحل البلدان الثلاثة منذ القرن السادس عشر ميلادي ، وأصبحت بلدان المغرب ولايات عثمانية.

---

[1] - انظر: اتوري روسي ، مرجع سابق، ص- ص422-448 .
- محمود علي عامر ومحمد فارس ، مرجع سابق، ص- ص237-245.

[2] - محمود علي عامر ومحمد فارس، مرجع سابق ، ص- ص245-249.

[3] - ولد في مستغانم بالجزائر عام 1202هـ، درس في مازونة وتلمسان، ثم رحل إلى فاس التي قضى بها سبع سنوات في تحصيل العلوم، عاد إلى مستغانم، وقرر الهجرة إلى مكة المكرمة، استقر مدة بمصر واطلع على الأوضاع السياسية والدينية في المشرق العربي، بدأ دعوته للاصلاح الديني في المشرق، وفي طريق عودته للجزائر قرر الاستقرار ببرقة عام 1257هـ، وبدأ في نشر دعوته التي لقيت نجاحا كبيرا، فمن صاحب نفوذ ديني تحول إلى زعيم سياسي تنقاد له القبائل الليبية، انظر:
- علي محمد محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ج1، دار البيارق، عمان 1999، ص23 وما بعدها.

[4] - للمزيد عن الدعوة السنوسية في ليبيا انظر محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ص88 وما بعدها ،
- علي الصلابي ، مرجع سابق، ص78 وما بعدها.

كما ساهمت البلدان المغاربية في دعم الدولة العثمانية في حروبها ضد أوربا في معركة ليبانت سنة1571م والتصدي لحملة نابليون على مصر 1798م وفي معركة نافارين 1827م .

ورغم محاولات الإستقلال عن اسطانبول من طرف عواصم البلدان المغاربية خاصة خلال العهود السياسية الأخيرة ، فقد حافظت البلدان المغاربية على علاقات خاصة وأبقت على علاقات تعاونية عسكرية وروحية مع السلطان العثماني ودانت بالولاء للسلطان العثماني واستقبلت كل ولاية واليا معينا من قبله وبقي إسمه يذكر في خطب الجمعة والعيدين ويضرب على السكة، وخصصت قيادات بلدان المغرب العربي أوقافا للحرمين الشريفين وأنشأت مؤسسات لتسييرها وايصال عوائدها للبقاع المقدسة ثم الى فقراء الأماكن المجاورة للحرمين الشريفين .

ورغم ذلك تمتعت تلك البلدان باستقلال فعلي عن اسطانبول فكانت تعقد السلم والحرب والهدنة مع أعدائها ، دون الرجوع إلى الباب العالي وتبادل حكامها القناصل والرسائل والهدايا مع الدول الأجنبية وتعرضت سواحلها لقصف من دول صديقة للسلطان[1].

2- العلاقات المغربية العثمانية

أما علاقات المغرب مع الدولة العثمانية فاكتست أهمية خاصة، باعتبار أن المغرب الأقصى ظل البلد العربي الوحيد الذي لم يخضع للسيادة العثمانية ، كما أنه كان يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية ممثلة في الدول الأوربية، والإسلام ممثلا في دولة الخلافة العثمانية[2]. وانتهج حكامه سياسة حفاظت على استقلالهم ، وعليه ازدوجت العلاقة بين التوتر والمواجهة أحيانا وبين التعاون أحيانا أخرى .

ونشير هنا إلى أن العثمانيين حاولوا منذ البداية إتباع سياسة الاحتواء اتجاه السلاطين السعديين الأوائل، ويتجلى ذلك في السفارة العثمانية إلى محمد الشيخ حين اقترحت عليه المساعدة لمحاربة المسيحيين مقابل الخطبة باسم السلطان العثماني[3].

وبسبب معطيات الصراع العثماني الأوربي، لم ينجد العثمانيون السلطان عبد الله الغالب(1557-1574م) ، ضد أخيه عبد الملك السعدي(1576-1578م) الذي التجأ إلى الأراضي الجزائرية .لكنهم تدخلوا فيما بعد في الصراع الداخلي لصالح عبد الملك ضد المتوكل(1574-1576م)، فدعموه بحملة انتهت بدخوله فاس، وفرار المتوكل الذي استنجد بالملك البرتغالي. وقد قدم عبد الملك للعثمانيين أموالا كثيرة، وهدايا معتبرة مكافأة لهم،وكان يلقي الخطبة باسم السلطان العثماني، ويسك النقود باسمه، وكذلك ساند الباب العالي الملك السعدي، وهو ما يتجلى

---

[1] -عبد الكريم محمود غرايبه،تاريخ العرب الحديث،الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ،1984 ، ص 43.

[2] -Abderrahman El Mouden , "Les Relations Marocco –Ottomanes Quelques Grands Traits D'un Culture Diplomatique " ،

(المغارب في العهد العثماني) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 41 ط1، 1995، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، تنسيق عبد الرحمان المودن، ص 13.

[3]- عبد الرحيم بنحادة ، مرجع سابق ، ص111.

في معركة واد المخازن،مما يؤكد التبعية غير الرسمية للباب العالي، كما أن الرسائل العثمانية للسلطان عبد الملك كانت تحضه على الجهاد والتعاون مع أمير إيالة الجزائر[1].

لكن سرعان في تغيرت العلاقات في عهد المنصور الذهبي (1578-1603م) ، فرغم أنه واصل إرسال الهدايا للباب العالي،إلا أنه تلقب بالخليفة وألقى الخطب باسمه، مما يؤكد استقلالية المغرب عن الباب العالي[2] ، الذي بدأ يتراجع نسبيا عن التوسع في غرب البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد حملة ليبانت سنة1571م وانشغال العثمانيين بحروبهم مع روسيا وحلفائها.

وبالمقابل كانت للشرفاء السعديين ومن بعدهم العلويين ، أطماعا توسعية على حساب الواجهة الغربية الجزائرية ، خاصة وأن الشريف السعدي كان قد نظم حملات وصلت إلى حد تلمسان، ثم تواصلت مع بدايات الحكم العلوي، وهو ما جعل حكام الجزائر يرسلون بعثة لإقناع الشريف محمد الأول العلوي (1636-1664م) بفكرة رسم الحدود بين المغرب والجزائر. لكن الملوك العلويين ظلوا يواصلون حملاتهم، خصوصا في عهد المولى الرشيد (1666-1672م) والمولى إسماعيل (1672-1727م) [3].

والواقع أن صراع الحدود بين الطرفين ما هو إلا غطاء للعلويين الطامحين في الخلافة الإسلامية[4]، التي يمتلك العثمانيون شرعيتها [5]. واعترف بها حتى فقهاؤهم ومنهم ابن أبي محلي الذي وصف السلطان أحمد العثماني(1603-1617م) يملك البحرين وإمام الحرمين الشريفين[6].

ومهما يكن فان طبيعة العلاقات المغربية العثمانية تحكمت فيها مسألة شرعية الخلافة .

3:مع افريقيا

شهدت الحواضر الكبرى بافريقيا الشمالية والغربية على حجم العلاقات التجارية فيما بين إفريقيا المدارية وحضارات حوض البحر المتوسط

ونتيجة لذلك، ازدادت حيوية ونشاط المراكز الحضرية الواقعة في محطاتها النهائية، مثل غانة وگـاو، اللتين شكلتا مهد قيام دولتين سودانيتين بالمنطقة، مما أمّن الوضع السياسي المحلي، وأتاح إمكانيات كبرى لاستقطاب تجار بلاد المغرب .

وتؤكد العديد من المؤشرات ،أن المغاربة ساهموا في التجارة الصحراوية عبر عدة مراكز تجارية ما بين مناطق شمال افريقيا وغربها ومنها :

---

[1] - عبد الرحيم بنحادة ، مرجع سابق ، ص ص147 - 149 .

- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق إحسان حقي ، ط2 ، دار النفائس بيروت 1403 ، ص 260

[2] - مصطفى الغاشي ، الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة،أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، الرباط ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، 2002/2001، إشراف عبد الرحمان المودن ، مرقونة، ص 58.

[3] - قدور بوزياني ، " مسألة الحدود بين المغرب وأتراك الجزائر "، منشور ب (المغارب في العهد العثماني) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 41 1995، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط 1، تنسيق عبد الرحمان المودن، ص25 .

[4] - مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني.. ، مرجع سابق، ص 49.

[5] - يذكر أن محمد المتوكل على الله آخر ملوك الدولة العباسية بمصر تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني ...وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين إسما وفعلا.

- محمد فريد بك المحامي.... تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 194 .

[6] - عبد المجيد قدوري ، سفراء مغاربة إلى أوروبا ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم13، ط1، مطبعة النجاح الدار البيضاء، 1995 ، ص 42 .

- غدامس: تقع جنوب غرب طرابلس ، تمثل المراكز التجارية (سجلماسة ، تلمسان) ارتبطت بمدن تمبكتو ، غاو ، تنبكت ...الخ[1].
- ورجلان: قدمت خدمات للتجار المتجهين للسودان والحاملين الأكسية القطنية وثياب الصوف والعطر ... وتستقبل من السودان الذهب الخام والعاج ...[2]
- توات : تقع وسط الصحراء ، كانت حلقة وصل بين شمال افريقيا والسودان الغربي ، سيطر على نشاطها اليهود كوسطاء تجاريين بين أوروبا وقوافل افريقيا [3].
- سجلماسة: تقع جنوب شرق المغرب فكانت وسيطا ما بين البضائع المغربية والبضائع السودانية واشتدت قيمتها بعد فقدان طريق مصر –السودان [4] .
- درعة: تقع شرق سجلماسة استقر بها تجار أجانب نشطوا التجارة وخدموا القوافل.ارتبط نشاطها بمحور فاس نحو تمبكتوموريطانيا [5].إضافة إلى مراكز أخرى مثل فاس مراكش،تلمسان،غرداية، مراكش،تلمسان،غرداية، تقرت، القيروان...الخ.

وقد استغلت القوافل التجارية مسالك تجارية أخرى شهيرة منها مراكش-تمبكتو، فاس-مكناس،سجلماسة- أودغشت،مدينة الجزائر- تمبكتو، طرابلس-تمبكتو،الجريد بتونس-غدامس فالجنوب[6].

أما المواد المتبادلة بين الشمال الإفريقي والصحراء الإفربقية فقد كانت بلدان المغرب تصدر الكتب والخيل والنحاس والأسلحة وأنواعا من المنسوجـات والبضائع المغربية والتي تون فيها وسيطا، بينما تستورد الذهب بصفة أساسية، إضافة إلى بعـض المنتوجات القطنية والعاج وريش النعام.

وقد عملت الكيانات السياسية المتعاقبة على حكم بلاد المغرب العربي في العصر الحديث على مواصلة تلك الحركية التجارية وخاصة ببلاد المغرب الأقصى؛ إذ حاول ملوك بني وطاس بفاس إنعاش العلاقات التقليدية ، فقد أرسل " محمد الوطاسي البرتغالي" سفارة إلى الحاج أسكيا محمد (1493-1528م) . وكان ممن سار في الوفد السّفاري المغربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، الذي دوّن وسجّـل الكثير من مشاهداته وملاحظاته حول بلاد السودان في مؤلفه المشهور:" وصف إفريقيا ".

استمرت العلاقات المغربية السودانية عهد السعديين على نفس الوتيرة خلال القرن السادس عشر، وتوطدت مع العديد من ممالك و إمارات الضفة الجنوبية للصحراء، وحينما اتخذ المنصور (ت 1603م) لقب الخليفة وأمير المؤمنين ، أثار حفيظة العثمانيين ، خاصة عندما استقبل سفارة من عاهل مملكة كانم- برنو (1564-1596م)، "إدريس ألوما"، الذي بحث عن دعم عسكري لمواجهة

---

[1] - الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص297.

[2]- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ط3، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1987، ص211.

[3] - الهادي المبروك الدالي ، مرجع سابق ، ص300.

[4] - نبيلة حسن محمد ، في تاريخ افريقيا الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2007، ص ص145-147.

- الهادي المبروك الدالي ، مرجع سابق ، ص300.

[5] - مارمول كربخال ، افريقيا، ج3،ترجمة عماد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1983، ص145.

[6] - عطية عبد الكامل،"**حركة القوافل التجارية بين الحواضر الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية والرحالة الأوروبيين، (15-19م)**"، حولية المؤرخ ، العددان13 - 14،السداسي الثاني، 2011، ص ص532-534.

أعدائه في سنغاي. يقول المؤرخ الفشتالي : " ... ورد الرسول(من ملك بورنو)...إلى الأبواب العلية المشرفة، فوافق أمير المؤمنين بحضرته العلية مراكش دار الخلافة، فأزاح اللبس وبين الغرض، فصدع لهم أمير المؤمنين ... وطالبهم بالمبايعة له والدخول في دعوته المباركة التي أوجب الله عليهم ... وقرر لهم ... أن الجهاد الذي ينقلونه ويظهرون الميل إليه، لا يتم لهم فرصة ولا يكتب إليهم عمله، ما لم يستندوا في أمرهم إلى إمام الجماعة الذي اختصه الله إلى يوم الدين بوصفه الشريف... وعلق لهم أيده الله الإمداد على الوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول" وموازاة مع ذلك، دعم العثمانيون إمبراطورية صونغاي، مما يوضح الصراع الخفي حول الخلافة وأحقية زعامة العالم الإسلامي[1] .

وما من شك في أن أهم العلاقات الديبلوماسية التي نسجها السعديون مع بلاد السودان، إنما تمثلت في تلك التي ربطتهم بمملكة سنغاي على عهد الأسقيين(1493-1591م) ، وأدت في نهاية المطاف بأحمد المنصور للقيام بحملة عسكرية، استعمل عليها القائد "جودر باشا" عام 1591م، استهدفت ضم مملكة سنغاي وفي هذا الصدد، يذكر أن الجيش المغربي استُقبل استقبال الأبطال الفاتحين[2]، وتشكلت بذلك وحدة مغربية شملت مجال سنغاي، مما سمح أكثر من أي وقت مضى بتوثيق وترسيخ عرى التواصل بين جميع جهات الدولة السعدية .

وهكذا أصبحت ممالك إفريقية في الغرب الإفريقي تابعة للبلاط السعدي، وتدفقت على المغرب خيرات بلاد السودان حتى نُعت السلطان السعدي آنذاك بالمنصور الذهبي لكثرة ما كان يرد عليه من ذهب السودان.

وقد أقام المنصور بالمنطقة السودانية من الدولة السعدية، نظام حكم عرف باسم "الرُّماة"، واتخذ من مدينة "تنبكت" مقرا لسلطته وعين على رأس النظام أحد قواد جنده المخلصين، وأطلَق عليه إسم" الباشا" .

وعلى إثر انهيار الدولة السعدية، خاصة بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي عام 1603م، استقل الباشوات(الرّماة) بنفوذهم عن السلطة المركزية بمراكش.

و باستثناء محاولات السلطان مولاي إسماعيل (1672-1727م)، لم يوفق سلاطين الدولة العلوية في تجديد وإنعاش العلاقات السياسية مع "تنبكت" باعتبارها القلب النابض لمنطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر. لكن العلاقات التجارية والثقافية الروحية، ظلت على ما كانت عليه، وهذا ما يفسر استنجاد السودان وفقهاء تنبكت (عام1893م) بالسلطان العلوي مولاي الحسن بغاية درء وصد الغزو الاستعماري الفرنسي للمنطقة.

لقد ظل البعد الديني الروحي حاضرا في العلاقات المغاربية الإفريقية، بتأثير عديد زوايا الطريقتين القادرية والتيجانية التي انتشرت فروعها بعديد الدول الإفريقية، إضافة إلى انتشار المذهب السني المالكي الذي يتبناه المغاربة ، مما أثر في الحياة الدينية بإفريقيا.

---

[1] - مصطفى الغاشي ،"الرحلة المغربية والشرق العثماني، مرجع سابق ، ص 58.

[2] - الفشتالي ، مصدر سابق ، ص 39.

وتعتبر الطريقة التجانية مثلا [1] من أشهر الطرق انتشارا بغرب افريقيا ؛ فقد انتقلت إليها[2]، عبر بعض المريدين الشناقطة منهم محمد الحافظ العلوي الشنقيطي (ت1838م). وكان أهل السنيغال وغيرهم من أهالي السودان الفرنسي ينتقلون إلى محاضر العلم الشنقيطية، ثم للمراكز العلمية المغربية، مما مهد طريق التجانية نحو السودان جنوب نهر السنغال، ومن رجالها هناك الحاج عمر بن سعيد الفوتي(1794-1864م) ، خليفة الطريقة التجانية ب "فوت جالون" ببلاد السودان فشاع أمره منتصف القرن التاسع عشر؛ ثم طمح لتأسيس دولة إسلامية تجانية، لكنه اصطدم باحتلال الفرنسيين للعاصمة "سيـگو أو سِـگُ"، عام 1892م[3]. ومهما يكن من أمر فقد انتشرت التيجانية في عدة دول من إفريقيا الغربية خاصة في غانا وشمال نيجيريا، حيث آلاف المريدين التابعين للطريقة التجانية الإبراهيمية[4].

وهكذا يمكن إجمال مظاهر التبادل والعلاقات بين بلدان المغرب وإفريقيا عامة.

4: أوروبـــا

اتخذت الكنيسة الأوروبية من النشاط البحري المغاربي وسيلة لتوحيد جهود المسيحيين من أجل افتداء اخوانهم في الدين بالتبرعات بداية العصر الحديث ثم بالحملات العسكرية البحرية المتكررة على السواحل المغاربية ، مما مهد لتوحيد جهودها في مؤتمر فيينا1815م ثم مؤتمر اكس لاشبيل 1818م أين اتفقت دول أوروبا في 20نوفمبر1818م حول القضاء على ما أسموه بالقرصنة البربرية (المغاربية)بتكليف مبعوثين فرنسي وانجليزي منذ1819م اتصلا بحكام المغرب العربي ومنهم الداي حسين (1818-1830م) في الجزائرالذي رفض الإمتثال، عكس حكام طرابس (يوسف باشا:1795-1830م) وتونس (محمود باي: 1814-1824م) والمغرب (سليمان بن عبد الله:1792-1822م)الذين امتثلوا للتهديد الأوروبي[5] .

وبهذا بدأت المرحلة الحاسمة في تقويض أركان البلدان المغاربية.واستمرت طيلة القرن التاسع عشربدءا باحتلال الجزائر1830م.

وتعتبر الجزائر نموذجا للبلدان المغاربية التي اشتد تنافس دول أوروبا حولها منذ التحاقها بالدولة العثمانية حتى وقعت في يد الإحتلال الفرنسي .

---

[1] - تنسب الى أحمد التجاني الذي ازداد بقرية عين ماضي بالجزائر عام 1737م، ثم قضى باقي حياته بفاس حيث توفي عام 1815م ، نهل من كتابات الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (ت.1240).

[2]- ظهرت بالمغرب طرق أخرى تجاوزت حدوده الجغرافية نحو كافة أنحاء العالم الإسلامي، مثلما الحال مع طريقة أبي الحسن الشاذلي(القرن 13م)، التي انتشرت بمصر والمشرق والمغرب الإسلامين، غير أنها لم تعرف نجاحا واسعا مثل التجانية في دول إفريقيا جنوبي الصحراء.

[3] - B. G. Martin, **«Notes sur l'origine de la tarîqa des Tigâniyya et sur les débuts d'Al-Hâĝĝ Umar»,** Revue des Etudes Islamiques XXXVII (1969), pp 267-290 .

[4] - Ousmane Kane, « **La confrérie Tijaniya Ibrahimiyya de kano et ses liens avec la zawiya mère de Kaolack** », in **Islam et Sociétés au sud de Sahara**, III (1989), pp27-40 .

[5] - حنيفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، 2007، ص ص 15-18 .

وابتداء من عصر البايلر بايات (1518-1587م)، بدأت الجزائر تنسج علاقاتها مع دول أوروبا فأرغمتها على دفع إتاوات مقابل ضمان أمن و سلام مراكبها في حوض البحر الأبيض المتوسط .

و من جهة أخرى شنت اسبانيا حملة على مدينة الجزائر في أوت 1519م ، وحملة الشهيرة سنة 1541م بقيادة "شارلكان -Charles Quint " ، باءت كلها بالفشل .

كما حصلت فرنسا على امتيازات صيد المرجان بالسواحل الشرقية الجزائرية (القالة ،عنابة و القل) ، وإنشاء حصن القالة الفرنسي سنة 1561م ، و توقيع معاهدة سلم و تجارة بين الطرفين عام 1628م .

أما في عهد الباشوات (1587-1659م) فتعقدت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر بسبب وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين في الجزائر لتأييد فرنسا اسبانيا في عدوانها على الجزائر ،فاضطرت فرنسا إلى التفاوض و إبرام معاهدة صلح بتاريخ 1628/09/19م[1]. وفي عام 1588م هاجمت الجزائر شواطئ نابولي وصقلية و كورسيكا و اسبانيا.كما تعرضت مدينة الجزائر في أوت 1601م لحملة الاسباني " جان دوريا - j Doria" بمباركة البابا ، لكنها باءت بالفشل.

و كثرت الغارات البحرية الفرنسية ضد الجزائر عهد الآغاوات (1659-1671م)

ففي عام 1663م شنت فرنسا حملة عسكرية بقيادة "الدوق دوبوفور- Duc Beaufourt" على مدينة الجزائر ، و حملة أخرى انطلقت من ميناء "تولون - Toulon " يوم 23 جويلية 1664م بقيادة "كولبير- Colbert " و الدوق دوبوفور و نزلت بجيجل، ثم كرر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام 1665م هجوما آخر فاشلا على مدن شرشال و القل و جيجل ، ولم يعد السلم إلا بإتفاقية 7 ماي 1666م.

كما هاجمت انجلترا سفن الجزائر عام 1669م ، ثم ميناء بجاية سنة 1671م .

ثم تصاعد العداء الأوروربي بتدخل الاسبان والهولنديين ونجحت الجزائر في مصالحة الهولنديين عام 1663م والإنجليز عام 1671م لمحاربة الفرنسيين .

أما في عهد الدايات (1671-1830م) فقدعرفت الجزائر استقرارا سياسيا واستقلالا عمليا غير رسمي عن الدولة العثمانية في تسيير شؤونها الداخلية و الخارجية، فكان الداي يعلن الحرب و السلم ويعقد معاهدات السلم والتجارة باسم الجزائر ويبعث بقناصل الجزائر إلى الدول الكبرى و يوافق على اعتماد القناصل في الجزائر،دون مشاورة الأستانة .

وفي هذه المرحلة تحررت مدينة وهران نهائيا من الإسبان سنة 1792م.

و في عهد محمد عثمان باشا قنبلت الدنمارك ميناء الجزائر عام 1770م.وشن الملك الاسباني شارل الثالث في نفس السنة ، حملة عسكرية فاشلة ضد الجزائر،ثم كرر الاسبان هجماتهم الفاشلة عام 1784م على الجزائر.

وقد تعرضت الجزائر أيضا إلى غارّات أوروبية منها التي نظمها الأميرال الفرنسي " دوكين " في عهد الداي بابا حسن يوم 12 جويلية 1682م لمهاجمة شرشال ومدينة الجزائر ،

[1] - نصت معاهدة 1628م على إطلاق صراح الأسرى من الجانبين ،التوقف عن الأسر من الجانبين، مسالمة البواخر الفرنسية في البحر، تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بحصانة دبلوماسية وإعادة بناء المركز الفرنسي التجاري بالقالة .

لكنها باءت بالفشل . وفي عام 1684م أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة سنة ، لكنها نقضت عام 1776م، ليتحول السلم المئوي إلى جملة إعتداءات، ومشاريع لاحتلال الجزائر عام 1830م [1].

وبسبب غزو" نابليون بونابرت" لمصر 1798م ، أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا [2] ، تحت ضغط الباب العالي[3] .

وفي عام 1801م أبرم القنصل الفرنسي" ديبوا تانفيل - Dubois Thainville " معاهدة مع الجزائر يوم 17 ديسمبر 1801م، أعيدت بموجبها المؤسسة الإفريقية إلى العمل مع إعفائها من الضرائب لمدة عام كامل ، غير أن هذا الصلح لم يدم طويلا و برزت إلى الوجود مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر[4] ، فقد كلف نابليون بونابرت[5] القنصل "جون سان أندري" لإعداد مشروع لاحتلال الجزائر[6] .و في عام 1802م أرسل ثانية الضابط "هولان" إلى الجزائر لنفس الغرض[7] ، ليأتي في 1808 دورالضابط "بوتان- Boutin "، الذي أعد تقريرا كاملا كانت له أهمية كبرى في احتلال الجزائر مستقبلا[8].

وقد عرفت الفترة الممتدة ما بين (1789- 1814م) أي بعد انتهاء الثورة الفرنسية ، دخول القارة الأوربية في حروب شاملة عرفت بالحروب النابوليوتية التوسعية ، إذ كان نابليون يهدف من وراء ذلك، فرض السيطرة الفرنسية على معظم أوروبا[9].

وغداة سقوط نابليون عام 1814م وعودة أسرة آل البورمون على عرش فرنسا ، استقبلت الجزائر بارتياح رغبة الملك لويس الثامن عشر[10] في إعادة الوئام بين البلدين[11].

---

[1] - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830م، منشورات متحف المجاهد، ص ص21-22

[2] - يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1 ،ص ص114- 115.

[3] - أرجمند كوران ، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847م، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ، 1974، ص19 .

[4] - يحيى بوعزيز ، مرجع سابق، ص341-342.

[5]- إمبراطور فرنسا 1804-1815م، ولد في أجاكسبو عام1769م، عين قنصلا أولا من 1800-1804م بعدما كان جنرالا أيام الثورة الفرنسية ثم أصبح إمبراطورا لفرنسا (1804- 1815م) تحت اسم نابليون الأول قاد حملات عسكرية ضد إيطاليا، مصر في المرحلة الأخيرة من الثورة الفرنسية ، توفي عام 1821م بجزيرة سينت هيلان (تقع بالمحيط الأطلسي على بعد 1900كلم غرب إفريقيا.

[6]-عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1862، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص ص341-342

[7] - جمال قنان ، مرجع سابق، ص200

[8] - اقترح بوتان أن عدد القوات الفرنسية للحملة يتعدى ستون ألف جندي ، معظمهم من المشاة مع بعض المدافع ، و أن تكون الحملة من البرّ إلى البحر، وأن احتلال المدينة يكون بالسيطرة على حصن مولاي حسن ، و مدة الحملة لا تتجاوز شهرا بين ماي و جوان .

- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، ص202

- أبو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص21.

[9] - أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص23.

[10]- لويس الثامن عشر (1755-1824)، ملك فرنسي من أسرة آل البورمون من(1814-1824) ، الابن الأصغر للويس الخامس عشر و أخ لويس السادس عشر ، توفي سنة 1824 .

[11] - جمال قنان، دراسات في مقاومة الاستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص12.

وبعد انتهاء معركة "واترلو Waterloo" عام1815م ، اجتمع الساسة الأوربيون بمؤتمر فيينا (1نوفمبر1814م - 8جوان1815م) ،لإعادة رسم الخريطة السياسية لأوروبا، لكن النتائج تجاوزت حدود أوروبا إلى دول المغرب العربي والجزائر خاصة [1].

لقد أرادت إنجلترا التدخل في شؤون الجزائر بإسم محاربة الرق والقرصنة والدفاع عن مصالح الدول المسيحية[2] . وقد قدم ممثلو فرسان مالطة بتسليم عدة مذكرات إلى المؤتمرين فيينا يطالبون فيها بالعمل على إعادة تنظيم الطائفة و بمكان غير مالطة [3] ، بإعادة النظام القديم و منحهم مقرا في البحر المتوسط تجتمع فيه جميع الأساطيل المسيحية لمحاربة قراصنة دول المغربية .

وتجسيدا لنيتها في تحسين العلاقات مع الجزائر قام الملك الفرنسي "لويس الثامن عشر" بتعيين "بيار دوفال" قنصلا لفرنسا في الجزائر في 28 أوت 1815م وحمل هدايا للداي .

وتنفيذا لقرارات مؤتمر فيينا ، ومن أجل فرض سيطرتها على البحار والإستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها في الشرق و الهند خاصة[4] ، وصل إلى الجزائر "اللورد إكسمورث" في أوت 1816م على رأس قوة بحرية وقذف مدينة الجزائر مما أدى إلى قطع العلاقات الجزائرية الإنجليزية[5].

استغلت فرنسا سوء العلاقة بين الجزائر و إنجلترا، فعقدت معاهدتين في 15 مارس1817م و أكتوبر1817م ، إذ تحصلت بموجبها على تخفيض الإتاوات التي تدفعها للديوان مع قنطارين من المرجان للداي[6].

وبعد الخلاف حول تحويل التحالف الرباعي (إنجلترا، روسيا، النمسا ، بروسيا) إلى حلف خماسي تكون فرنسا طرفه الخامس، قررت الدول الأوربية عقد مؤتمر" اكس لاشابيل"[7]، سبتمبر1818م وفيه اتفق المؤتمرون على توجيه تصريح للدول المغربية للحد من القرصنة ، وتسلم الداي حسين التصريح من المبعوثين الأوروبيين في 5 سبتمبر1819م[8]، فرفض الإستجابة للضغط الأوربي[9] .

---

[1] - جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،ص53.

[2] - دسوقي ناهد إبراهيم ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ،د.م.ج ، ط1، الإسكندرية، 2008،ص20 .

[3] - عزت عبد الكريم أحمد ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت لبنان، ص 326.

[4]- عبد الله شريط، محمد الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985، ص169.

[5] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص210.

[6] - محمد العربي الزبيري، **"مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الاحتلال"**، مجلة الأصالة ، العدد12، فيفري 1973، الجزائر،ص123.

[7] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج1 ، ص357.

- مؤتمر انعقد في مدينة اكس لاشابيل الألمانية ، بين 29سبتمبر و 21نوفمبر1818، بين الدول المنتصرة في الحروب النابليونية و إنجلترا ، و النمسا، روسيا، بروسيا، فرنسا ، ممثلة بالدوق" ريشوليو".

- أنظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، ص213 .

[8] - جمال قنان ، مرجع سابق ، ص213.

[9] - مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت ، ص213

ولترضية الديوان ، أصدرت الحكومة الفرنسية بتاريخ 28 أكتوبر1819م مذكرة ، أكدت عزمها على إرضاء حكومة الجزائر، شرط السماح لها دفع الديون لليهودي بكري[1] وقبل الداي بهذا الشرط [2] .

لكن القنصل الفرنسي "بياريفال" عمد منذ عام 1820م إلى زعزعة العلاقات الجزائرية الفرنسية ، ففي رسالة وجهها وزير خارجية فرنسا الدوق" دي مورانسي " إلى الداي حسين في 20 أفريل1822م عبّر فيها عن استياء حكومته من موقف سلطات الجزائر التي رفضت أن ترد المخازن و المباني التي كانت تملكها الشركة الإفريقية[3] ، فرد الداي حسين أن المباني جزائرية جزائرية و هي بأيدي الإنجليز بعد حصولهم على امتياز الباستيون في 1807م[4].وفي عام 1826م 1826م رفع " دروفتي " القنصل الفرنسي في مصر تقريرا إلى حكومته مفاده أن فرنسا بإمكانها استخدام "محمد علي" لاحتلال الجزائر، مقابل دفعها تكاليف الحملة، إلا أن المشروع لم يتم[5]،وعليه وصلت العلاقات الثنائية إلى القطيعة عام1827م[6].

ثامنا : الحياة الإجتماعية والاقتصادية في بلدان المغرب العربي الحديث

1- الحياة الإجتماعية

بسبب استقرار الوضع السياسي وهجرة الأندلسيين واحتلال الإسبان لمدن الجزائر واستقرار العثمانيين للجزائر، تأثر الوضع الاجتماعي في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر؛ فقد تحسنت الأوضاع الإجتماعية للسكان في بلدان المغرب العربي وارتفع عدد السكان وظهرت مدن جديدة وازدهرت أوضاع الأرياف . ومن نماذج المدن الجزائرية التي ازدهرت بفضل الهجرة الأندلسية البليدة والقليعة وشرشال ودلس والمدية و مليانة وغيرها ، ونفس الحال بولاية طرابلس التي تطورت بها عدة حواضر منها "زلتين ،الخمس ، سرت ومصراتة وكذلك الحال بالنسبة لعدة مدن تونسية.

ورغم ذلك فإن ظروف السكان وخاصة على مستوى الأرياف، لم تستقر بسبب انتشار الأمراض والأوبئة منذ القرن السابع عشر، مثلما حدث في الجزائر سنوات1661-1664م، وتونس سنوات 1663-1657م، وطرابلس الغرب سنوات1655-1691م ، مما نتج عنه تناقص عدد سكان مدينة تونس مثلا من40000 نسمة عام 1705م إلى 10000نسمة عام 1756م.

1-1: فئات المدن : تشكل نمط إجتماعي بأغلب المدن المغاربية على الشكل التالي :

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ص25.

[2] - أحمد عزت الكريم، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار النهضة العربية، بيروت ص344

[3] - يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ،ج1، ص107.

[4] - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830) ، ص ص217- 218.

[5]- عمار هلال ، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، ص ص42-43.

[6] - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، ص347.

1-1-1 : الأقلية التركية: تمثلت في الجنود والموظفين ورياس البحر الذين سيطروا على الحكم وأبعدوا المحليين من المناصب الهامة،كان عددهم ضئيلا و تركزوا أساسا في عواصم الولايات والمدن الرئيسية؛ ففي ولايات طرابلس وصل عددهم إلى عدة آلاف ، وفي مدينة الجزائر وصل عددهم سنة 1821م حوالي 3661 فرد ، أغلبهم اشتغل في الجهاز الإداري والمؤسسة العسكرية[1].وقد استقروا في الحصون والثكنات وبالحاميات المنتشرة بالمدن الرئيسية.

1-1-2 : طائفة الأعلاج : عناصر أوروبية مسيحية أسروا في معارك بحرية ، أغلبهم اعتنقوا الإسلام ، تباين عددهم من بلد لآخر حسب النشاط البحري ، منهم ميزومورطو الإيطالي في الجزائر وإسطى مراد في تونس .

هذا ويذكر أن بعض الأسرى المسيحيين لم يندمجوا في الأوساط المحلية الإجتماعية بل حافظوا على تقاليدهم وأوضاعهم الخاصة ، فكانوا يضعون على رؤوسهم شاشية حمراء، يقيمون ليلا في سجون عامة (Bagnes) ، ويسمح لهم نهارا العمل في الحقول أو الإشتغال في ورشات البحرية أو في مشاغل الصناع وفي الدكاكين .

1-1-3 : الكراغلة : شريحة نتجت عن تزاوج الانكشارية بنساء مغاربيات محليات تمركزت ببعض المدن الرئيسية ، حيث الحاميات التركية المنتشرة عبر المدن ، بلغ عددهم في الجزائر مثلا 6000 نسمة نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، التحق بعضهم بالجند وتولي آخرون وظائف مهمة منذ القرن الثامن عشر الميلادي، فتقاسموا السلطة مع طبقة الحضر وارتقى بعضهم إلى الحكم ، كما هو الشأن بالنسبة لأحمد القرمانلي وأسرته بطرابلس. و تولى منهم حكم البايلكات وحتى في دار السلطان منهم مصطفى العمر باي وهران والحاج أحمد باي قسنطينة في الجزائر ،وانضم بعضهم إلى جماعات الفرسان "المخزن"، كما هو الحال بالمنشية (طرابلس)، وناصروا بعض الحكام الأتراك ، مثلما أيدوا الداي علي خوجة في إخماد تمرد الانكشارية عام 1817م إذ قضوا على 1200انكشاري. ونتيجة لذلك تخوف الأتراك منهم وأبعدوهم من السلطة في الجزائر.

1-1-4 : الحضر: يطلق عليهم البلديون ، استقروا قديما بالمدن الرئيسية،انضم إليهم المهاجرون الأندلسيون والأشراف المنتسبون لآل البيت . اندمجت بعض الجماعات الاندلسية في المجتمع المغاربي ، في وقت ظل فيه بعض الحضريين محافظين على طابعهم الاندلسي مثلما ظهربدرنة باقليم برقة منذ استقرار الاندلسيين بها حوالي عام 1530م[2].

أثر الأندلسيون في أساليب العيش وطرق الحياة لسكان المدن بطابعهم الخاص، حينما مارسوا التجارة ، واستصلحوا الأراضي ،ومارسوا القضاء والتعليم وتعاملوا مع الحكام ومنهم عائلات

---

[1] -E plantet, Correspondances des Beys de Tunis,T1,p1.

[2] -Saadaddine Ben Cheneb ,Un contrat de mariage Algérois du début 18è du siècle ,in Annales de l'institut des études orientales ,T13,1955,pp99-100 .

ابن الفكون ،ابن باديس بقسنطينة بالجزائر . وقد أنشئوا مدنا جديدة منها القليعة ،البليدة وطوروا أخرى مثل تلمسان ،وطبعوا لغة سكان المدن بلهجتهم الغرناطية، كما ساعدوا على انتشار اللسان العربي.وقد اشتهرت منهم بعض العائلات النافذة مثل بوناطير و الشريف الزهار..بالجزائر، وابن غلبون والدغيس... بطرابلس .

1-1-5 : اليهود: بعضهم يعود إلى فترات ما قبل الإسلام ثم أسلموا،إضافة إلى يهود الأندلس(الصافرديين)، القادمين من إسبانيا مع مسلمي الأندلس، وشكلوا في القرن السادس عشر الميلادي، يشكلون تجمعات مهمة بالمدن الرئيسية ،كما ناهز عددهم بمدينة طرابلس ألفين نسمة.

نجحت جماعات اليهود في المحافظة على مكانة متميزة بفعل حرف الصنائع وصناعة الحلي والتجارة ،مما ساعدهم على التحكم في المبادلات التجارية مع الخارج ؛ فقد احتكروا في العهد القرمانلي بطرابلس التجارة ،واعتبروا أغنى الطوائف بالمدينة.وحافظوا على وضعهم الخاص في أحياء خاصة بهم في المدن. ومع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي،بدأت عناصر يهودية نشيطة تفد إلى الجزائر وتونس وطرابلس من المدن الايطالية، وصل عددهم بالجزائر ثلاثين ألف نسمة عند الاحتلال اصطدموا مع الجزائريين في عدة مناسبات 1801-1804- 1805م[1].

1-1-6 : -البرانية أو الأغراب : هم الوافدون نحو المراكز الحضرية والمدن الكبرى من المدن المغاربية الداخلية ، للاقامة والعمل وانتسبوا للمناطق التي قدموا منها ، مثل الجزائر التي ظهر بها بنو ميزاب، والجيجلية، والأغواطيون والبساكرة ،وجماعة الجرابة في طرابلس وتونس وعرفوا بمهارتهم في الأعمال التجارية البسيطة ،وجماعة العبيد (الوصفان) ، أغلبهم من رقيق السودان الذين استقدموا للخدمة في المنازل خاصة ،وقد أصبح لهم وكيلا يعرف بقائد الوصفان ، تزايد عددهم، حيث كانوا يقدرون بالآلاف (حوالي10000 بالجزائر، و3000 بولاية طرابلس،أوائل القرن التاسع عشرالميلادي)[2].

1-1-7 : - الجالية الأوروبية : عناصر وافدة من أوروبا استقرت في المجتمعات المغاربية مثل التجار الأجانب، القناصل ،ممثلي البعثات الدينية المسيحية،الأسرى المسيحيين، يقيمون بمراكز ولايات طرابلس ، الجزائرو تونس، تمتعوا بامتيازات عديدة .

1-2:جماعة الريف

هم مجموع السكان الذين يقيمون خارج المدن ، يشكلون 95% من مجموع السكان، ينقسمون حسب علاقتهم بالسلطة إلى سكان متعاونين مع السلطة (قبائل المخزن) وسكان خاضعين (قبائل الرعية) ،سكان متحالفين (الأحلاف) ، وسكان ممتنعين(في المناطق النائية والجبال) .

[1] ناصر الدين سعيدوني ، ولايات المغرب العثمانية (الجزائر- تونس - طرابلس الغرب)،ط2، البصائر للنشر، الجزائر،2013، ص ص225-227.

[2] - نفسه ، ص 228.

1-2-1: عشائر المخزن: مجموعات قبلية سكانية فلاحية وعسكرية بمثابة قوة عسكرية متعاونة مع السلطة ،تمثل حلقة وصل بين الأهالي في الريف والحكام في المدن . نشأت منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، تضمن الأمن والإستقرار واستخلاص الجباية والضرائب ومعاقبة المتمردين وتنفيذ أوامر البايلك، ومراقبة السكان والمشاركة في الحملات الفصلية (المحلات) التي تقوم بها فرق الحامية المنظمة (اليولداش)، مقابل نيل أراضي وحيازة مراعي وإعفاء من الضرائب. تتألف من مجموعات من الفرسان تعرف بالمزراقية والصبائحية أو المكاحلية أو القوم .

استقروا قرب المدن المهمة وفي الأماكن المتحكمة في المواصلات ، لمراقبة تحركات القبائل الجبلية والعشائر البدوية مثل جهات طرابلس ونواحي برقة ومن أهم هذه القبائل مخزن المنشية بطرابلس. أما في الجزائر فمنها قبائل بني عامر في إقليم وهران و قبائل بوحلوان عند مضيق وادي جر (العفرون) بالبليدة ومخزن أولاد الصحاري غرب مليانة ومخزن عمراوة قرب برج سباو(ناحية بومرداس)ومخزن أولاد خليف نواحي تيارت ومخازن أخرى منتشرة بين الجزائر ووهران وبين الجزائر وقسنطينة مثل قبائل وادي الذهب العثمانية.

2-2-1:-جماعة الرعية: وهم مجموعات سكانية تؤلف غالبية سكان الريف خاضعة للبايلك مباشرة وفرسان المخزن. تدفع الضرائب الثقيلة ، مجردة من السلاح ، يرأسها قياد من الأتراك والكراغلة أو عائلات موالية للبايات مثل قبائل مجاهر في الغرب الجزائري، يمارسون الزراعة في أراضي الدولة كأجراء او خماسين أو يستغلون أراضي خاصة بهم .

3-2-1: -المجموعات السكانية المتحالفة: تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها المحليين وأغلبها مرابطون في غرب البلاد وحربيون في الشرق وجنوب التيطري (الأجناد)، بينما في جرجرة والبابور والصومام ينتمي قادتهم إلى أصول عريقة. وقد ساعدت طبيعة الشرق الجزائري على تزايد نفوذ هذه القبائل فسيطرت على ثلثي البايلك ، مما جعل البايات يتعاملون معهم ويعترفون بهم وخاصة قبائل ومشيخات النمماشة وقبائل الحنانشة والحراكتة وقصرالطير بسطيف وأولاد بوضياف بالأوراس وأولاد قاسم جنوب شرق قسنطينة وأولاد عاشور بفرجيوة وأولاد مقران بمجانة ببرج بوعريريج وبني جلاب بتقرت وأولاد قانة بالزيبان وغيرهم وكذلك الحال في تونس وطرابلس.

4-2-1:-المجموعات الممتنعة (الممتنعون عن السلطة): قبائل بعيدة عن نفوذ الحكام تعيش في المناطق النائية الجبلية ، تشكل تجمعات قبلية كبيرة تعرف بالأحلاف أو المشيخات أو النجوع، وهذا ما جعلها تربط علاقات خاصة مع الحكام، تضمن لها الاستقرار الفعلي والانتفاع بالامتيازات التي يوفرها لها الحكام ، مثل تصريف إنتاجها وشراء حاجتها من الأسواق .كما هو الحال بالنسبة لقبائل الجبل الأخضر والجبل الغربي بطرابلس أو بالنسبة للعشائر البدوية القوية ببرقة وفزان أو القبائل الجبلية بالأوراس وبالبابور بسطيف، وجرجرة والونشريس وشمال قسنطينة وجزء من مناطق الأطلس الصحراوي .

تعاملت معهم السلطة بعدة طرق منها تنصيب حاميات وعشائر مخزنية قريبة منهم لحراستهم ، والتحكم في الأسواق القريبة منهم فنصبت عليها قادة أتراك وفرسان مخزن . كما استعملت القوة ضدهم أو فرضت ضرائب سنوية عليهم.

3-1: علاقة السلطة بالسكان

في المدن احتلت الطائفة التركية مكانة مفضلة وحظيت بخدمات البرانية والأسرى والعبيد، بينما الحضر والأندلسيون واليهود فكانت لهم امتيازات عديدة.

أما في الأرياف فقد تحكم المخازنية في مصير قبائل الرعية ، وتبادلت القبائل الممتنعة والمتعاونة المنافع مع السلطة . وفرض الحكام سلطتهم على سكان المدن والريف، بالطرق التالية:

- وضع حاميات عسكرية بالمدن وخاصة بعواصم الجزائر ، تونس ، وطرابلس، وتنصيب فرسان المخزن بالمناطق الإستراتيجية للأرياف مثل الونشريس جرجرة، الأوراس بالجزائر، الخمير ، الجريد، بتونس، نفوسة ، الجبل الأخضر وفزان بطرابلس الغرب.

- التعاون مع بعض العائلات الكبرى بالمدن والمشيخات الوراثية بالأرياف للتحكم في السكان مثل عائلة بن عاشور في تونس وآل المقراني بمجانة ببرج بوعريريج وأولاد قاسم بالهضاب العليا وابن قانة بالزيبان وأولاد أورابح بالصومام في الجزائر وأولاد سليمان بسرت وخليفة بن عون المحمودي شيخ المحاميد بطرابلس الغرب .

- المحافظة على امتيازات بعض الجماعات بالمدن والأرياف، تأكيدا على ولائها للسلطة مثلما هو حال كراغلة الجزائر والمنشية بطرابلس الغرب الذين لم يلبثوا - رغم ذلك- أن ثاروا ضد القرمنليين.

- الضغط الإداري والعسكري على الطوائف والجماعات العرقية بالمدن والأرياف، بمراقبة القبائل المتمردة وتشديد استخلاص الضرائب، مثلما هو حال التعامل مع قبائل مناطق الحنانشة، النمامشة،الزيبان والجنوب الوهراني بالجزائر والجريد والظهر التونسي بولاية تونس ووسط طرابلس وبرقة بطرابلس الغرب . وقد أشرف البايات أنفسهم عدة مرات على المحلات .

- إذكاء روح العداء بين القبائل لإحداث التوازن وقد تجسد هذا بين قبائل جنوب الجزائر وتونس وعامة طرابلس الغرب ، خاصة حول استغلال الأراضي الزراعية والرعوية[1] .

وبهذه الطرق أخضعت السلطة الريف والمدينة .

[1] - ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية أثناء العهد العثماني ،الجزائر ، م و ك ، الجزائر ،1986، ص131-140.

2 - الحياة الإقتصادية

أدى التطور الإداري لولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس إلى بعث النشاط الاقتصادي المحلي

2-1: أنواع ملكية الارض :

تنوعت الملكيات الزراعية ببلاد المغرب العربي حسب أحكام الشريعة الإسلامية إلى عدة أصناف وهي [1] :

2-1-1: ملكيات خاصة: تنتشر قرب المدن، يمتلكها أتراك وكراغلة وأندلسيون وحضر ويهود،وبعض التجار والقناصل الأوروبيون بفحوص طرابلس وصفاقس وسوسة وتونس وعنابة وقسنطينة والجزائر[2] ومازونة وتلمسان وغيرها...، تستغل في إنتاج الخضر والفواكه والحبوب .

2-1-2:- ملكيات مشاعة وأراضي قبيلة: تعرف بأراضي العرش في الجزائر، وأراضي عربي بتونس،يغلب عليها الطابع البدوي القبلي،تستغل جماعيا،تحت مراقبة شيخ الدوار، وتستغل في إنتاج الحبوب، كما هو الحال بنواحي الجبل الأخضر ببرقة وسهل جفارة جنوب طرابلس وأراضي عربي بالوسط التونسي وأطراف بايلك قسنطينة وجنوب التيطري.

2-1-3:- ملكيات الدولة: تعرف بأراضي المخزن أو البايلك ، تنتج الحبوب وتنتشر بنواحي طرابلس وشمال شرق تونس ، وسهول عنابة ونواحي قسنطينة وحوض سباو والشلف وسهول متيجة ووهران وغريس بالجزائر.وساهم بعض الحكام في تطوير السياسة الزراعية ؛ فقد ذكر ابن ابي الضياف أن سياسة الباي حسين بن علي (1705-1735م)الزراعية "قد سعدت بها المملكة وأهلها ...وامتلأت أيديهم بالمكاسب ،فأثاروا الأرض،وعمروها بالحبوب والاشجار"[3].

2-1-4:- أراضي الوقف: يشرف عليها وكلاء ونظار ، تنتمي إلى عدة فعاليات مثل مؤسسة الحرمين الشريفين،والجامع الاعظم ،وسبل الخيرات والمرابطين والأشراف وأهل الأندلس، تؤلف الجزء الأكبر من الملكيات بأطراف مدن الجزائر ،قسنطينة وتلمسان وتونس وحتى طرابلس.

وما يلاحظ أن سبب تطوير الانتاج الزراعي في المناطق الساحلية للجزائر وتونس يعود إلى دور المزارعين الأندلسيين الذين أدخلوا أساليب حديثة لخدمة الأرض، ونجحوا في إدخال

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية أثناء العهد العثماني ،الجزائر ،ص ص11-61.

[2] - ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ، ج 2،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988، ص 147.

- كان بمدينة الجزائر قبيل الإحتلال 8000ملكية عقارية بيد رجال الحكم، إلى جانب ملكية بيت المال وملكية خاصة وملكيات الخدمات العامة .

- احميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث،دار الهدى عين مليلة، 2005،ص 112.

[3]- أحمد بن أبي الضياف،إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان،ج3، ط2، تونس، 1977-1979، ص195.

مزروعات جديدة مثل الزعفران وأنواع الزهور والقطن ، وتوسعوا في زراعة التوت لتربية دودة الحرير ،والعنب والتين والزيتون[1].

2-2: الصناعات والانتاج الحرفي

تركزت الصناعات في المدن الرئيسية تونس والجزائر وطرابلس وقسنطينة وتلمسان وصفاقس وسوسة .وظل الصناع يزاولون مهنهم ، معتمدين على المهارة اليدوية والمواد الأولية مثل الصوف والجلود والأخشاب والمعادن، توزعت الحرف اليدوية في أزقة وحارات المدن ،التي عرفت بأسماء الصناعات مثل الشواشية (صناع القلانس) أوالبلاغجية (صناع الأحذية) والمقايسية (صناع الأساور).

ومن الصناعات المحلية النسيج ، الحدادة ومعالجة المعادن والأسلحة وتحضير البارود ، الجلود ،الخشب، وبناء السفن، الخزف والأدوات الفخارية والمستحضرات والعقاقير[2].

2-3: المبادلات التجارية

أصبحت المدن المغاربية محاور رئيسية للنشاط التجاري ؛ فمدينة الجزائر، انتشرت بها الأسواق والدكاكين والمخازن ، مثل سوق الرحبة والسوق الكبير. كما أصبحت مدينة تونس محورا للتبادل التجاري؛ فقد أصلح الداي يوسف حي التجار واعتنى بسوق الغزل ، وأنشأ مراد باي سوق القماش ، وأصلح محمد الحفصي سوق الشاشية واعتنى حسين بن علي التركي بسوق السكاجين،في وقت اشتهرت فيه مدينة طربلس بأسواقها العديدة مثل سوق الترك وسوق الرباع وسوق الخضر وسوق المواشي ونقطة تجمع الحجاج المغاربة ومحطة رئيسية للتبادل التجاري مع السودان وميناءا مهما لتصدير بعض المنتوجات المحلية نحو أوروبا و المشرق العربي، ،كما كانت مركزا يتزود منه التجار الوسطاء من مدن فريقية مثل جالو وكانو ومن جربة وبنغازي وفزان وغيرها[3] .

وقد ارتبطت أغلب الولايات المغاربية العثمانية مثل تلمسان والجزائر وقسنطينة وعنابة وورقلة وتونس وسوسة وصفاقص ونفطة وطرابلس وبنغازي وغيرها بالتبادل التجاري المحلي عن طريق القوافل التي جعلت منها محطت تنطلق نحو بلاد المغرب الاقصى واقطارالمشرق وأقاليم السودان[4]. هذا وأصبحت المدن الساحلية على اتصال مباشر مع عديد الموانئ المشرقية لاسيما مع الأستانة وازمير وبيروت والاسكندرية .

---

[1]- عثمان الكعاك،"**عنابة قبل الاسلام** "،مجلة الاصالة الجزائرية ،ع44-55/1976، ص 33.

[2] - للمزيد حول الصناعات المغاربية راجع:

- ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية...، مرجع سابق ، ص ص93-100.

[3] - نفسه ، ص ص202-203.

[4] - حول المبادلات التجارية الجزائرية مع تونس ،المغرب،ليبيا، السودان. راجع :

- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1972، ص ص149-190.

وبحكم الاتفاقيات العديدة ونظام الامتيازات ، حافظت المدن المغاربية على علاقات تجارية وثيقة مع المرافئ الأوروبية الرئيسية على البحر المتوسط (مالطة ،نابولي، ليفورن ،جنوة ، البندقية ، مرسيليا ، برشلونة ، أليكانت، جبل طارق)[1].

تاسعا : العلاقات الثقافية المغاربية

من خلال المجال الفكري الثقافي في البلاد المغاربية ، برز دور العلماء في نسج التواصل بين الشعوب والحكومات ،إذ كانوا يتنقلون بين المؤسسات العلمية الثقافية ، خدمة للعلم أو تقربا من السلطة . ومن نماذج العلماء الذين مثلوا ذلك الترابط نذكر:

1-**الشيخ محمد بن علي الخروبي** (توفي سنة 963هـ)[2]

يعتبر مثالا للتواصل المغاربي يُدعى نزيل الجزائر، حيث سكن بها وطالت فيها إقامته[3]، نُسب إلى حواضر صفاقس وطرابلس والجزائر[4]، خطب في أحد مساجد الجزائر،وشرح الصلاة المشيشية[5].

خدم الخروبي الوجود العثماني في المغرب العربي، وخاصة في الجزائر، خدمة جليلة بقلمه ودرسه وطريقته الصوفية[6]، الشاذلية [7] فعاش في حماية الدولة له في الجزائر، و ترك أثرا كبيرا كبيرا في معاصريه.

قام الخروبي بعدة أسفار إلى المغرب، حيث زار فاس مرتين، منها أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشريف ومراكش، وأخذ عنه علماء المغرب [8]، مما يؤكد صلاته مع علماء المغرب [9]. من من هنا نخلص أن الخروبي خدم العثمانيين بعلمه وثقافته حتى توفي بالجزائر سنة 963هـ[10].

---

[1] - حول التعامل التجاري الجزائري مع مرسيليا، مالطة، ماهون، ليفورن ، أنظر:
- محمد العربي الزبيري ، مرجع سابق ، ص ص 129-145.

[2] - ولد بطرابلس، حيث نشأ و تعلم ، من علماء المالكية والصوفية، فصيح العبارة غزير المعرفة ، خطيبا فصيحا ، اعتنى بالتفسير والتصوف ، من تلاميذ أحمد زروق، من مؤلفاته : "مزيل اللبس عن أدب وأسرار القواعد الخمس"،" كفاية المريد وشرح تصلية القطب ابن مشيش "،"رسالة ذي الإلاس إلى خواص أهل مدينة فاس ".
- حمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس الغرب ليبيا ، ص ص 199 - 200،

[3] - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 190.

[4]- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص504.

[5]- نفسه ، ص 506.

[6]- نفسه ، ص 505.

[7] - الشاذلية: طريقة صوفية نشأت بالإسكندرية، على يد أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن الحسين الادريسي المشهور بالشاذلي نسبة لقرية شاذلة بالمغرب. انظر:
- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1996.

[8]- سعد الله ابو القاسم، مرجع سابق ، ص 505.

[9] - ذهب محمد الخروبي إلى المغرب في شأن الحدود بين البلدين بعد أن هاجم السلطان محمد الشيخ تلمسان السعدي ، أرسله صالح باي سنة 1552م على رأس سفارة عثمانية إلى المغرب، لعقد سلام بين سلطان المغرب والعثمانيين في الجزائر.
- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ/ 16 م ، ج1، 2006، ص148.

[10]- سعد الله ابو القاسم، نفس المرجع ، ص 505 .

2-**الشيخ سعيد قدورة:**(توفي 1066هـ -1656م)

هو سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمان، وشهرته قدورة[1]، تونسي الأصل، هاجر والداه للجزائر حيث ولد سنة 979 هـ. وبعد وفاة والده سنة 1001 هـ توجه إلى زاوية الشيخ أبي علي بن أبهلول المجاجي قرب تنس حيث مكث ثلاث سنين (1005 - 1008هـ)،عاد بعدها ، للجزائر ليتفقه على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل المطماطي بالجامع الكبير ،ثم سافر في طلب العلم سنة 1012هـ إلى تلمسان ؛ فتتلمذ على يد الشيخ سعيد المقري، ثمّ إلى صحراء فجيج وتافيلالت وسجلماسة وواحة بني عباس حيث قابل شيخه أحمد بن عبد الله السجلماسي العباسي ثم منها إلى فاس، دامت رحلته أكثر من سبع سنوات قبل العودة إلى الجزائر. ومن شيوخه أيضاً إبراهيم بن الحسن بن علي اللقاني المالكي المصري (توفي 1041هـ).

عينه شيخه المطماطي خليفة له للتدريس بالجامع الأعظم ووكيلا لأوقافه ثم عين مفتيا للمالكية ابتداء من سنة 1028 هـ [2]، حتّى وفاته سنة(1066هـ -1656م) ودُفن بزاوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري.

وكان قدورة يحظى عند الباشوات لدرجة أنهم كانوا يقفون له إجلالا ويقبلون يده، ويقدمونه على المفتي الحنفي (شيخ الإسلام)[3] الذي كان يمثل المذهب الحاكم.

هكذا ضرب قدورة [4]مثال التواصل الثقافي العلمي المغاربي من عدة أوجه فهو تونسي الأصل جزائري النشأة والعمل ومغربي التحصيل العلمي .

3- **الشيخ علي الأنصاري**(توفي 1057هـ- 1648م)

فقيه علامة عرف ب"أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري"، يُنسب لسعد بن عبادة السجلماسي الجزائري، نشأ بسجلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن بعض مشايخها منهم "عبد الله بن طاهر الحسني، ابن أبي بكر الدلائي" ، قرأ على الأخير كتب البخاري ، الشفاء ، الموطأ ورسالة القشيري والتنوير والحكم، وعن أبي عباس أحمد المقري الموطأ والرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وغير ذلك. ثم سافر إلى الحجاز ليأخذ عن الغنيمي والأجهوري [5]، ودخل مصر سنة 1043هـ وقرأ بها، ثم عاد إلى المغرب، واستقر

---

[1] - سعد الله أبو القاسم ، مرجع سابق، ص 365. من مدينة قدورة قرب جزيرة جربة التونسية .

[2] - نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص ص191- 194.

[3] - سعد الله أبو القاسم ، مرجع سابق ، ص ص 368- 371.

[4] - كان موصوفا بالصلاح ، زكي الأخلاق والأفعال، مزج العلم بالتصوف، فكما كان يدرس لطلابه كتب ابن عطاء الله ، كان يدرس لهم صحيح البخاري ورسالة القيرواني. من مؤلفاته "شرح على متن السلم لعبد الرحمان الأخضري" ، "حاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي"، "قضاء الوطر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر" ...

- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، موفم للنشر 1991،د م، ص 71 .

- نور الدين عبد القادر، مرجع سابق ، ص 191 .

- سعد الله ابو القاسم، نفس المرجع ، ص 377 .

[5]- أبو القاسم محمد الحفناوي، نفس المصدر، ص 79.

بمدينة الجزائر، لإفادة طلبته[1]، بأصول الدين والبيان والمنطق والنحو ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف...

وكان على صلة وثيقة بحاكم الجزائر يوسف باشا (1647 -1650م)[2] ،الذي كان يقرب العلماء لتأييدهم إياه ، من جهة والأنصاري كان هو أيضا بحاجة لقوة تحميه لغربته من جهة أخرى ، توفي سنة (1057هـ 1648م) بالجزائر[3].

4- الشيخ أبو القاسم الزياني(1147 - 1249 هـ، 1734 - 1833م)

هو أبو القاسم بن احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الزياني المغربي ، ولد في فاس بالمغرب أين تلقى العلم ؛فنال حظا من الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق.

رحالة[4] ، ووزير وأديب ومؤرخ الدولة العلوية، من قبيلة زيان الصنهاجية نواحي فاس،ولد سنة 1147هـ، درس في القرويين، اتصل بالبلاط الملكي سنة 1169هـ، تقلد الولاية على وجدة وتازة ومكناس وطنجة وغيرها[5] وعين كاتبا بالقصر الملكي.

وفي سنة (1200هـ1786م) وجه سلطان المغرب محمد بن عبدالله (1757-1790م) الزياني سفيراً عنه إلى الخليفة العثماني عبد الحميد الأول، فكان خير سفير. وعند العودة إلى فاس استأنف أعماله متنقلا من منصب إلى آخر في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي ، لكن بعد وفاة هذا الأخير تعرض الزياني في عهد مولاي يزيد للسجن ، ثم استأنف عمله بعد مجيء مولاي سليمان للحكم فعين على وجدة ثم لجأ إلى المغرب الأوسط فنزل بوهران ضيفا على الباي محمد الكبير ثم التحق بتلمسان وقضى مدة طويلة بين علمائها، ثم قصد الجزائر فأكرمه أهلها وحكامها، حتى عاد للمغرب وتوفي في(1249هـ - 1833م) ، تاركا خمسة عشر مصنفًا كبير الحجم[6] .

هكذا قام علماء بلاد المغرب العربي بدور إيجابي عبر المجال الثقافي العلمي فربطوا علاقات بين الشعوب والسلطات، بواسطة مدارس تكوينهم أو دروسهم العلمية وحتى مواقفهم من قضايا مصيرية دينية وسياسية.

---

[1] - له تآليف كثيرة منها : شرح على الأجرومية وتحفة بن عاصم وشرح الدرر اللوامع لابن بري وكتاب اليواقيت الثمينة في الفقه ، وله مؤلف في تفسير القرآن الكريم ، وتآليف في رجال البخاري ، منظومة الدرة المنيفة في السيرة الشريفة... وغيرها . - نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 190.

[2] - عرف عن يوسف باشا أنه كان من الحكام المقربين للعلماء والعافين عن المرابطين والأشراف .

[3]- نور الدين عبد القادر، نفس المرجع ، ص191.

[4] - زار مناطق عديدة مثل الجزيرة العربية ، بلاد ما بين النهرين، تركيا ومصر وسوريا ،اليمن بلاد الزنج والحبشة وأرض الهند والسند وأرض الصين وسواحل أوروبا الجنوبية .

[5] - ناصر الدين سعيدوني وبوعمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، 1995، ص27.

[6] - من مؤلفاته : الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب (في التاريخ العام) ، البستان الظريف في دولة اولاد مولاي علي الشريف (تاريخ الدولة العلوية) ، رسالة السلوك فيما يجب على الملوك (في السياسة) ، الترجمانة الكبرى (في رحلاته خارج المغرب الأقصى)، الحادي المطرب في رفع نسل شرفاء المغرب...إلخ .